

سيرة
محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
تأليف
السيد هاشم الموسوي

سيرة

محمد رسول الله (ص)



تأليف

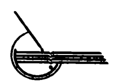
السيد هاشم الموسوي



موسوى، هاشم
سيرة محمد رسول الله (ص)/تأليف هاشم الموسوي.- قم: انصاريان،
١٣٨٢ = ٢٠٠٣.
[١٢٥]ص.
عربى.
كتابنامه بصورت زيرنويس.
ISBN: 964-438-082-7
١. محمد(ص)، پيامبر اسلام، ٥٣ قبل ازهجرت- ١١ق.- -سرگذشتنامه.
الف. عنوان.
٩س٨٤م/٩/BP٢٢ ٢٩٧/٩٣
كتابخانه ملى ايران ٨٤٠٩-٧٦م

سيرة محمد رسول الله ﷺ

المؤلف: سيد هاشم الموسوي
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر — قم
الطبعة الثانية: ١٣٧٨ — ١٤٢٠ - ١٩٩٩
الطبعة الثالثة: ١٣٨٢ — ١٤٢٤ - ٢٠٠٣
المطبعة: صدر - قم
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ١٢٨ص.
حجم الغلاف: متوسط
ردمك: ٧-٠٨٢-٤٣٨-٩٦٤



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء — فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧ هاتف: ٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨)
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

سيرة

محمد رسول الله (ص)

لماذا ندرس السّيرة النّبويّة

« لَقَدْ كانَ لَكُم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »

(الاحزاب / ٢١)

السيرة النبوية هي : « طريقته في الحياة أو تاريخ حياته » .

إن دراسة السيرة النبوية ومعرفة حياة الرسول (ص) وسلوكه وتعامله مع أتباعه وأهل بيته وأعدائه وكيفية قيامه بالدعوة الاسلامية والأساليب والطرق التي اتّبعها تعلّمنا معالم ديننا وتفقّهنا في شريعتنا ..

فسيرة الرسول (ص) تشكّل مصدراً أساسياً من مصادر الأحكام والقوانين الاسلامية .. فمن سيرته يستنبط الفقهاء الأحكام والقوانين التي تنظّم حياتنا الفردية والاجتماعية .

إنّ دراسة سيرة الرسول (ص) تعني دراسة أهم جزء من تأريخ أُمّتنا بصورة خاصّة والبشرية بصورة عامّة لأنّها تمثّل صراع الهدى ضدّ الضّلال والحقّ ضد الباطل ..

ونعرف من خلالها كيف بدأت الدعوة الاسلامية ضعيفة .. وكيف كان أتباع الرسول الفقراء والمستضعفين .. وكيف انتصر الحقّ وانتشر الهدى .

إنّ هذه الدراسة لسيرة الرسول (ص) تعلمنا ما يأتي :

١ ـ نتعرّف على عظمة الرسول الكريم (ص) من خلال أعماله ومواقفه وآثاره الخالدة فنزداد حبّاً وولاء له ولدعوته المباركة لنقتدي به ونسير على هداه .

٢ ــ إنّ السيرة النبوية هي مصدر من مصادر الأحكام الاسلامية ، فمنها يستنبط الفقهاء الأحكام والقوانين المتعلّقة بجوانب الحياة المختلفة .. السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والتعبّدية ، وغيرها ، عملاً بقوله تعالى : « **ما آتاكم الرّسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » ، وقوله : « **وما ينطق عن الهوى إنْ هو الّا وحي يوحى** » .

٣ ــ نطّلع من خلال دراسة السيرة النبوية على تأريخ الدعوة الاسلامية والمسلمين الأوائل وكيف صبروا وجاهدوا ، ونعرف أسباب القوّة التي جعلتهم يحقّقون النصر لنستفيد من هذه الدروس ونقتدي بها .

٤ ــ نتعلّم من سيرة الرسول أساليب وطرق الدعوة الى الاسلام وكيفية تبليغها وايصالها الى الناس جميعاً .

٥ ــ نعرف من خلال السيرة كيفية تطبيق الاسلام وبناء المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية لنبني مجتمعنا ونظامنا السياسي على أُسس الاسلام وبالاقتداء بدولة الرسول (ص) الخالدة .

إنّ سيرة الرسول هي أغلا ثروة في تأريخنا الاسلامي وفي تأريخ البشرية .. وبشّر برسالة إلهية لإنقاذ البشرية وتحطيم الطواغيت والقضاء على الجهل والكفر والفقر والمرض والفساد .

لذا فإنّ دراسة حياة هذا الانسان العظيم تساهم في اصلاح نفوسنا وشخصياتنا ، وتوضّح لنا طريق الحق ، وتعلّمنا منهج الاسلام العظيم .. لذلك أمرنا القرآن أن نقتدي ونأخذ منه كلّ شيء جاءنا به وبلّغه إلينا . وبذلك نستطيع أن نكون شخصيات اسلامية صالحة تقوم بالاصلاح والتغيير ومحاربة الفساد اقتداءً بالمصلح العظيم محمد (ص) . وبذلك ننتصر على الكفر والظلم ونحرّر الانسان من عبودية الطواغيت والمستبدّين .

أوضاع العالم قبل بعثة الرسول الكريم (ص)

بعث الله نبيّنا محمداً (ص) الى الناس جميعاً منقذاً من الجهل والظلم والكفر والفساد .. لاصلاح البشرية وهدايتها الى الطريق المستقيم .. فقد بُعِثَ بعد أكثر من خمسة قرون تقريباً من إنتهاء نبوّة المسيح ، عيسى بن مريم (ع) .

بُعِثَ محمد (ص) في مكّة المكرّمة في الجزيرة العربية ، وقد كانت العرب تعيش حياة الجاهلية والبداوة .. المليئة بالفساد والظلم والتأخّر.

فالجاهلية : (عبارة عن الكفر بمنهج الله وشريعته ، واتّباع الطواغيت والقوانين المخالفة للقانون الإلهي العادل) .

.وهي حالة عاشتها الأمم الضّالّة في الماضي كما تعيشها بعض الأمم الضّالّة في وقتنا الحاضر.

فكلّ من لا يؤمن بدين الله ولا يطبق قانونه العادل فهو جاهلي .

لقد كانت هذه الحياة الجاهلية تسيطر على البشرية جميعها في جزيرة العرب ، وفي بلاد الفرس والروم وغيرها من بلاد العالم .. وكان العرب يعبدون الاصنام التي يصنعونها من الحجارة والمعادن والأخشاب والتي ملأوا بها الكعبة حتى بلغ عددها ثلاثمائة وستين صنماً . وكان من أشهر هذه الأصنام : العزى واللاّة وهبل ومناة ، وكانوا يحجّون إليها في كلّ عام و يقدّمون إليها النذور والذبائح و يعتقدون أنّها تقرّبهم من الله وتقضي لهم حوائجهم ..

كما كان بعضهم يعبد الجن والملائكة من دون الله .. وقليل منهم كانوا على دين ابراهيم وعيسى (ع) ، لقد كانت حياة العرب ينتشر فيها الجهل والأُمّية والضّلال ، فلم تكن لديهم علوم ولا معارف ولم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة إلّا أفراد قليلون منهم ، وكان بعضهم يهاجم البعض الآخر .. و يعتدي القوي على الضعيف ، فكانت الحروب وسفك الدماء والسّرقات ونهب الأموال ، حالات مألوفة عندهم .. وكان مجتمع مكّة يتألّف من طبقتين : طبقة الأسياد الأغنياء وطبقة الفقراء والعبيد المظلومين ..

وكان العرب يقتلون أبناءهم من شدّة الفقر.. كما كانوا يدفنون البنات وهنّ أحياء من صغرهنّ .. خوفاً من السّبي في الحروب ولحوق العار بهم ..

لذلك يصف القرآن حالهم بقوله : « **فليَعْبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف** » .

و يقول : « **إذا المؤودة سُئِلت بأيّ ذنب قتلت** » .

و يقول : « **ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق (١) نحن نرزقكم وإيّاهم** » .

جعفر بن أبي طالب يصف أوضاع الجاهلية :

وقد وصف جعفر بن أبي طالب زعيم المسلمين المهاجرين في الحبشة أوضاع الجاهلية لملك الحبشة حينما سأله عن سبب اتّباعهم للرسول الكريم ، فقال :

« أيّها الملك ، كنّا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش (٢) ، ونقطّع الأرحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف ، فكنّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحّده ونعبده ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصوم ... فصدّقناه وآمنّا به واتّبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا وحلّلنا ما أحلّ لنا ... » (٣) .

إنّ قراءة هذا الحديث الذي تحدّث به جعفر بن أبي طالب ووصف حال العرب في الجاهلية يوضح لنا كيف أنّ رسول الله أنقذهم وهداهم الى مكارم الأخلاق وجاءهم بعقيدة التوحيد وبالنظام والقانون الإلهي العادل ، وحرّرهم من عبودية الطّواغيت ومن الجهل

---

(١) خشية املاق : خوفاً من الفقر.

(٢) الفواحش : المعاصي والقبائح ما ظهر منها وما بطن (مجمع البحرين ج ٤/١٤٧) .

(٣) ابن هشام / السيرة النبوية /ج (١) / ص (٣٦١) .

وعبادة الأوثان .. فصنع منهم أُمّة قويّة مؤمنة بالله متقدّمة في العلوم والمعارف والمدنية .. حملت الدعوة الاسلامية والحضارة الاسلامية الى العالم أجمع وهدت الناس للايمان والتقدّم .

لقد أنقذ رسول الله محمد(ص) البشرية جميعها من الظلمات الى النور ..

فكما عرفنا فإنّ العرب كانوا وثنيين يعبدون الأصنام ، والفرس في بلاد فارس كانوا مجوساً يعبدون النار ..

والروم في بلاد الشام كانوا نصارى قد حرَّفوا الإنجيل وغيّروا شريعة المسيح ، فصاروا مشركين يؤمنون بأنّ المسيح ابن الله .. وانتشر الظلم والفساد والانحطاط في مجتمعهم ..

وحرّف اليهود التوراة وغيَّروه وحرَّفوا شريعة موسى(ع) ، وأشركوا بالله وقالوا إنّ العزير ابن الله ، وانتشرت الجريمة والفساد واحتكار الأموال وسوء الأخلاق بينهم ..

وهكذا كان الناس يعيشون في كفر، وشرك ، وجاهلية ، وفساد ، وظلم ، وفقر، وحروب وفتن ، فكان الناس يعيشون حياة التخلّف والشقاء و ينتظرون المنقذ والهادي الى حياة سعيدة مطمئنة فبعث الله نبيّه محمّداً(ص) رحمة للعالمين ..

لذلك قال في كتابه المجيد يخاطب نبيّه محمّداً : « **وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين** » .

فعلى بني الانسان أن يشكروا هذه النعمة و يتّبعوا منهج ودين هذا النبي العظيم ليعيشوا بخير وسلام .

الخلاصة

وإذن يمكننا أن نلخّص حياة البشرية قبل بعثة النبي محمّد(ص) بما يأتي :

١ ــ كان الناس في الجزيرة العربية وفي غيرها من بلدان العالم يعبدون الأصنام والأوثان والنيران والجنّ والملائكة وغيرها ..

٢ ــ إنّ رسالات الأنبياء (التوراة والإنجيل) قد حرّفها وغيرها علماء اليهود والنصارى .. وأشركوا بالله سبحانه .

٣ ــ إنتشار الفساد والانحطاط الاخلاقي .. كالسرقة والكذب والغشّ والظلم والقتل

والعدوان والخوف .. وشرب الخمر والقمار والجرائم والأحقاد والعداوة .. الخ .

٤ ــ إنتشار الجهل والأُمّية والفقر.

٥ ــ عدم وجود نظام أو قانون أو دولة تحكم بلاد العرب بل كانوا يعيشون الفوضى وحياة البداوة والتنقّل والرعي .

٦ ــ إنّ الاسلام حطّم الظلم والطواغيت وعبادة الأصنام وهدى البشرية وقادها في طريق العلم والتقدّم ونشر العدل والرحمة بين أبناء البشرية .

نبينا محمد (ص)

نَسبُه ومِيلادُه :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن مالك بن النضر(١) ، و يتّصل نسبه بسلالة النبي اسماعيل (ع) وهو (ص) من قبيلة قريش .

واسم أُمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، من قبيلة قريش .

ولد في مكّة المكرّمة في عام الفيل .. العام الذي جاء فيه أبرهة الحبشي لهدم الكعبة وهو يركب الفيل و يقود ذلك الجيش الذي دمّره الله وأنقذ الكعبة من شرّه وعدوانه ..

ففي ذلك العام ، وقبل هجوم أصحاب الفيل على مكّة بخمسين ليلة ولد نبيّنا محمد (ص) في شهر ربيع الأوّل في السابع عشر أو الثاني عشر منه في بيت أبيه الذي يقع في منطقة بمكّة تسمّى بشعب أبي طالب عند الفجر .. وكان أبوه قد توفي في المدينة المنوّرة عند أخواله بني النجّار ، وهو جنين في بطن أُمّه قد مضى على حمله ستة أشهر .. و يقال أيضاً أنّه ولد (ص) قبل وفاة أبيه (٢) .

ولد نبينا محمد (ص) فَبُشّر به جدّه الكريم عبد المطّلب بن هاشم سيد قريش وزعيمها الذي كان يتّبع دين ابراهيم الخليل .. ففرح به وسرّ سروراً عظيماً .. وذبح الذبائح وصنع ولائم الطعام ودعا الناس إليه .. وأقبل الناس يهنئونه بالمولود الجديد ..

وكانت أُمّه آمنة بنت وهب قد شاهدت حين ولادته نوراً يضيء ويملأ البيت ..

ومن معجزات ولادته أنّه (ص) حين ولد اهتزّ إيوان كسرى ملك الفرس وسقطت منه أربع وعشرون شرفة ، وانطفأت نار المجوس التي يعبدونها في هذه البلاد .. وقد كانت مشتعلة قبل ذلك منذ ألف عام .

---

(١) بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن نزار ..

(٢) ذكر اليعقوبي أنّ مولد الرسول قبل وفاة أبيه وذكر الطبرسي في كتابه إعلام الورى أن أبا الرسول توفي بعد ولادته بسنتين وأربعة أشهر .

تَربيتُه :

حين ولد نبينا محمد(ص) قامت ثويبة وهي جارية مملوكة لعمة أبي لهب بإرضاعه .. وقد كانت هذه الجارية قد أرضعت عمّه حمزة بن عبد المطلب كما أرضعت ابن عمّه جعفر بن أبي طالب ..

وكانت عادة أشراف قريش أن يرسلوا أولادهم الصغار الى البادية بعد ولادتهم ليتربّوا هناك .. لذا فقد سلّمه جدّه عبد المطلب الى إحدى نساء البوادي وهي حليمة السعدية لتقوم برضاعته وتربيته والعناية به .. وقد شاهدوا حين قدوم هذا الصبي المبارك الخير والبركات في أغنامهم ، فسمنت وكثر لبنها وتوالدها .. وحين كبر وصار صبيّاً وبلغ من العمر خمس سنوات ردّوه الى جدّه عبد المطّلب وأمّه آمنة بنت وهب ففرحت به وسرّت سروراً عظيماً ، فقرّرت أن تصطحبه معها وتسافر الى (يثرب) المدينة المنوّرة لتزور أخواله بني عدي بن النجّار .. وكان عمره حينذاك ستّ سنوات ..

وهناك تعلّم الرسول الكريم السباحة في بئر لبني عدي .. وكان بصحبتها أمّ أيمن بركة الحبشية تخدمها في هذا السفر الطويل ..

وبعد مدة (ثلاثة أشهر) قضوها في يثرب عادت آمنة الى مكّة ومعها ولدها الحبيب محمد(ص) والخادمة أمّ أيمن .. وفي الطريق بين مكّة والمدينة مرضت آمنة أمّ الرسول فتوفّيت في قرية تسمّى (الأبواء) ودفنت هناك ولم يزل قبرها موجوداً حتى الآن(١) ..

فعادت به أمّ أيمن الى جدّه عبد المطلب بن هاشم فاستقبله بالحبّ والحنان والرعاية الكبيرة وقام بتربيته والعناية به ..

وحين بلغ النبيّ الثامنة من عمره توفّي جدّه عبد المطّلب .. وقبل أن يتوفى أوصى ولده أبا طالب وهو عمّ النبيّ محمّد(ص) أن يأخذ محمّداً ويتكفّله ويربّيه ويدافع عنه ويحميه ، فقبل أبوطالب بذلك وأخذ النبيّ محمّداً(ص) الى بيته فاعتنى به هو وزوجته فاطمة بنت

---

(١) وحين كبر الرسول(ص) وبعثه الله نبيّاً .. استأذن الباري جلّ وعلا فأذن له بزيارة قبر أمّه ، فزارها وجلس عند قبرها ، وظلّ يبكي وبكى أصحابه ومن حوله من الناس بكاءً شديداً / رواه مسلم في الصحيح / نقلاً عن الطبرسي في إعلام الورى .

أسد .. فكانت فاطمة زوجة عمّه أبي طالب كالأمّ الحنون .. تحميه وترعاه وتفضّله على أولادها .. وكان رسول الله (ص) يقول : إن فاطمة بنت أسد هي أُمّي .. لذلك عندما توفيت فاطمة بنت أسد بعد أن كبر محمد (ص) وبُعِثَ نبيّاً .. تألّم كثيراً وبكى عليها وحزن .. فسأله الناس لماذا يحزن على فاطمة هذا الحزن العظيم ، فقال لهم الرسول :

« اليوم ماتت أُمّي ... إنّها كانت أُمّي ، إنْ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني ، وتشعثهم وتدهنني ، وكانت أُمّي » (١) .

لقد عاش نبينا محمّد (ص) في بيت عمّه أبي طالب وفاطمة بنت أسد حتى تزوّج من زوجته العظيمة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) .

الخلاصة

١ ـــ ولد نبيّنا محمّد (ص) في مكّة المكرّمة ، في عام الفيل ، في السابع عشر أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول .

٢ ـــ أبوه عبد الله بن عبد المطلب ، توفّي قبل ولادة النبي (ص) .

٣ ـــ أُمّه آمنة بنت وهب ، توفّيت وعمر النبي (ص) ست سنوات .

٤ ـــ سلّمه جدّه الى حليمة السعدية لتقوم برضاعته وتربيته والعناية به في البادية كما هي عادة أشراف قريش . توفّي جدّه عبد المطلب بن هاشم وكان عمره (ص) ثماني سنوات فتكفّله عمّه أبوطالب ، وبقي تحت رعاية عمّه وزوجة عمّه فاطمة بنت أسد ، حتى كبر وصار شاباً .

٥ ـــ من معجزات ولادته :

أ) شاهدت أُمّه حين ولادته نوراً يضيء ويملأ البيت .

ب) إهتزاز إيوان كسرى ملك الفرس ، وسقطت منه أربع وعشرين شرفة .

ج) إنطفاء نار المجوس .

---

(١) اليعقوبي / ج (٢) / ص (١٤) / دار صادر بيروت / ومن الجدير بالذكر أنّ فاطمة بنت أسد هي أمّ الامام علي بن أبي طالب (ع) .

الرّسول يتزوّج خديجة الكبرىٰ

كانت خديجة الكبرى بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزى بن قصي بن كلاب القرشية إمرأة غنيّة لها أموال وتجارة .. وكانت معروفة بشرفها ومكانتها المحترمة بين أهل مكّة وكانت تعرف في قريش بـ (الطاهرة) .. وكان كثير من الناس يشتغلون بأموالها في التجارة ..

وعندما سمعت بمحمد (ص)، وكان شاباً نبيلاً كريم الخلق والسمعة .. صادقاً أميناً .. حتى أنّ أهل مكّة كانوا يسمّونه بالصادق الأمين .. عرضت على النبي (ص) أموالاً وطلبت منه أن يشتغل لها بالتجارة .. فقبل النبيّ (ص) وأخذ المال وذهب مع غلام لخديجة إسمه (ميسرة) الى الشام للتجارة .. فربح النبي ربحاً كثيراً .. وعاد ميسرة فحدّث سيدته خديجة بأخلاق النبي (ص) وصدقه وأمانته وشرفه .. فأعجبت به كثيراً .. فعرضت عليه أن يتزوّجها .. فأخبر أعمامه بذلك .. فرحّبوا وقبلوا .. وذهب أبوطالب عمّ النبي (ص) ومعه جماعة من أعمام الرسول (ص) .. فخطبوها وأعلنت أمامهم موافقتها فتزوّجها رسول الله (ص) وكان عمرها أربعين سنة، وكان عمر الرسول خمساً وعشرين سنة .. وكان صداقها عشرين ناقة (بكرة).

وهي أوّل زوجة تزوّجها رسول الله (ص) ولم يتزوّج إمرأة أُخرى عليها حتّى توفّيت .. لقد أحبّت خديجة (رضي الله عنها) رسول الله (ص) وأخلصت له وأحبّها كثيراً وعاش معها عيشة مثالية سعيدة ..

وهي أوّل من آمن به وصدّقه وأعانه في دعوته وجهاده .. وصرفت أموالها الكثيرة جميعها من أجل الدعوة الاسلامية حتى صارت فقيرة لا تملك شيئاً .. وتحمّلت معه أذى قريش وحصارهم ..

وهي أُمّ أولاده جميعاً عدا إبراهيم، فإنّ أُمّه (مارية القبطية) .. فأبناؤها هم: القاسم والطّاهر وزينب ورقيّة وأُمّ كلثوم وفاطمة الزهراء أُمّ السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام)، وقد مات القاسم والطاهر قبل البعثة، وبقيت بنات الرسول (ص) بعد البعثة،

وهاجرن معه الى المدينة المنوّرة .

وتوفّيت خديجة في مكّة قبل الهجرة النبوية بثلاث سنين ..

إنّ لخديجة مكانةً عظيمةً عند الله سبحانه فقد انتصر الاسلام بأموالها وكانت عوناً لرسول الله(ص) في دعوته .. لذا قال رسول الله(ص) : **« أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم إمرأة فرعون »** (١) ..

وبإخلاصها للرسول(ص) وبجهادها استحقّت هذا الشرف العظيم واستحقّت تحيّة الله وجنانه والبشارة بالجنّة في حياتها ؛ فقد روي : **« أنّ جبريل أتى رسول الله(ص) ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة ، قد أتت معها إناء فيه أدام ، أو طعام ، أو شراب ، فأذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ، ومنّي ، وبشّرها ببيت في الجنّة من قصب** (*) **لا صخب فيه ولا نصب »** (٢) ..

وكان رسول الله(ص) وفيّاً لها فلا ينساها بعد وفاتها ، و يكرّم صديقاتها إكراماً وحبّاً لها ..

وقد سمعته زوجته عائشة يوماً يذكّرها و يثني عليها ، فقالت له : « ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها » ، فآلم النبي(ص) هذا القول ، وردّ عليها قائلاً : **« ما أبدلني الله خيراً منها ، كانت أُمّ العيال ، وربّة البيت ، آمنت بي حين كذّبني النّاس ، وواستني بمالها حين حرمني النّاس ، ورزقت منها الولد وحرمت من غيرها »** (٣) ..

وكان من حبّه لخديجة(رض) أنّه إذا ذبح شاة قال : **« أرسلوا الى أصدقاء خديجة »** ، فتسأله عائشة متعجّبة ، فيقول لها : **« إنّي لأُحبّ حبيبها »** ..

وفي أحد الأيام ، كان الرسول(ص) في حجرة زوجته عائشة ، فجاءته امرأة فاعتنى بها

---

(١) محب الدين الطبرسي / ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربي / ص (٤٢) / (١٩٦٧م) .

(*) من قصب : من ذهب .

(٢) صحيح البخاري / ج (٥) / ص (٤٨) .

(٣) إسعاف الراغبين (المطبوع على هامش نور الأبصار) للشبلنجي / ص (٩٦) .

وأسرع في قضاء حاجتها ، فتعجّبت عائشة من ذلك ، فقال لها الرسول (ص) : **« إنّها كانت تأتينا في حياة خديجة »** ..

وهكذا نعرف عظمة هذه المرأة المخلصة لله ولرسوله (ص) ، ومكانتها في نصرة الاسلام والدفاع عن الدعوة الاسلامية ..

وهكذا نعرف احترام الرسول (ص) والرسالة الاسلامية للمرأة وتكريمها .. ونعرف دور المرأة في نصرة الاسلام وحمل دعوته والمشاركة في بناء المجتمع واصلاحه .

الخلاصة

تزوّج النبي الكريم (ص) من السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد ، بعد أن أعجبت بأمانته ، وذكائه ، وحسن اخلاقه ، فطلبت منه أن يتزوّجها ..

كانت خديجة الكبرى (رض) امرأة غنيّةً معروفةً بشرفها ومكانتها الاجتماعية المحترمة ، وكانت تعرف في قريش (بالطّاهرة) ، وهي أوّل زوجة تزوّجها رسول الله (ص) ولم يتزوّج عليها إمرأة أُخرى حتى توفّيت .. وهي أوّل من آمن به من النّساء وصدّقته ، وأنفقت أموالها الكثيرة في سبيل نصرة الاسلام ..

كانت أُمّ المؤمنين « خديجة » مثال الزوجة الصالحة ، وقدوة المرأة المسلمة ..

المناقشة

١ ــ أكمل العبارات الآتية :

أعجبت خديجة بمحمد (ص) لأنّه كان شاباً ....

....

٢ ــ كان أبناء خديجة هم : ....

٣ ــ كانت خديجة (ع) أوّل .... وأوّل ....

٤ ــ ما هو الدّرس الذي تتعلّمه المرأة المسلمة من حياة أمّ المؤمنين خديجة (رض) ؟

الرّسول يساهم في بناءِ الكعبة

لا بدّ وانّكم تعرفون أيّها الطلبة الأذكياء أنّ الكعبة هي بيت الله الحرام ، وقد بناها النبيّ ابراهيم وولده اسماعيل (عليهما السلام) بأمر من الله سبحانه ، فاستجابوا لندائه .. وقد كان العرب فيما بعد تحترم الكعبة وتحجّ اليها قبل الاسلام ، ولكنّهم كانوا قد وضعوا فيها أصنامهم وأشركوا بالله سبحانه .. وكانت قبيلة خزاعة أوّل من وضع الأصنام ..

وفي احدى السنين ، وعندما كان عمر الرسول (ص) خمساً وثلاثين سنة ، وقبل ان يُبعث نبيأ جاء سيل من المياه فهدم الكعبة وخرّبها ، فاجتمعت قريش وقرّروا بناء الكعبة وتوسعتها .. وهكذا اتّفقوا على البناء واستمرّوا يبنون الكعبة ، حتى وصل البناء الى موضع الحجر الأسود ؛ فاختلفوا فيما بينهم .. فكلّ قبيلة تريد أن تحظى بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه .. وأشتد الخلاف بينهم ، وكادوا يتقاتلون ، وظلّوا على هذا الخلاف مدّة أربعة أيّام أو خمسة .. ثم اجتمعوا ، وراحوا يتشاورون في كيفية حلّ الخلاف .. فقال أحدهم وهو أكبرهم سناً : اجعلوا أوّل من يدخل الباب عليكم حكماً بينكم ؛ فأتفقوا على ذلك ، وبينما هم جالسون إذ دخل عليهم الرسول الكريم محمد (ص) ، ففرحوا وقالوا : هذا الأمين .. رضينا .. هذا محمّد .. فأخبروه بالخبر.

وحلّ الخلاف .. فقال لهم الرّسول (ص) ائتوني بثوب .. فوضع فيه الحجر الأسود .. وقال لهم لتأخذ كلّ قبيلة بطرف من الثوب ، ثمّ أرفعوه جميعاً .. ليشترك الجميع في رفع الحجر الأسود في موضعه ، وليشعروا جميعاً بالمساواة ؛ لئلا يختلفوا أو تكون بينهم حرب ولا عداوة .. وحينما اشتركت القبائل في رفع الحجر الأسود بالثوب الى موضع البناء .. تناول الرسول (ص) الحجر بيده الشريفة ، فوضعه في موضعه .. وهكذا أنهى الرسول (ص) النّزاع وأصلح بين قبائل قريش بعقله وحكمته .

الخلاصة

بنيت الكعبة بأمر من الباري سبحانه الى خليله ابراهيم وولده اسماعيل (عليهما السلام) .. وقد هدّمها سيل وخرّبها ، فقامت القبائل العربية ببنائها ، وعند البناء حدث نزاع حول وضع الحجر الأسود في مكانه ، فاحتكموا الى الصادق الأمين محمد (ص) ورضوا برأيه في فضّ النزاع .

المناقشة

١ ــ اكمل ما يأتي :

أمر الله نبيّه .... أن يبني الكعبة .. فبناها هو وولده .... لتكون بيتاً لعبادة .... ، ولمّا تولّت أمرها قبيلة خزاعة أدخلت .... الى الكعبة .

٢ ــ ما هو الحل الذي اقترحه النبي الكريم (ص) لفضّ النزاع حول وضع الحجر الأسود في مكانه ؟

٣ ــ على أيّ شيء يدلّنا حلّ الرسول (ص) لمشكلة النزاع بين القبائل .. ؟

٤ ــ قال المجتمعون لحلّ المشكلة حين رأوا الرسول (ص) .. « هذا .... » .

بشارة الأنبياء

لقد بشّر موسى وعيسى (ع) بمجيء محمد (ص) وجاء اسمه وصفته في التوراة والانجيل وكانت اليهود تنتظر بعثة نبي يصلح الأرض و يبلّغ رسالات الله ولكنّهم كانوا ينتظرون أن يكون هذا النبيّ منهم، وعندما بُعِثَ من العرب كفروا به وكذّبوه.. كما أنكره النصارى وكفروا به وقد بشّرهم به عيسى (ع) وأخبرهم الانجيل بذلك..

وقد قال الله تعالى: **«الّذين يتّبعونَ الرسولَ النّبيَّ الأُمّيَّ الذي يَجدونهُ مَكتوباً عِندهُمْ في التّوراةِ وَالإنجيلِ يأمرهُمْ بِالمِعروُفِ وَينهاهُمْ عَنِ المنكرِ ويحلُّ لهمُ الطيّباتِ ويحرّمُ عليهمُ الخبائثَ وَيَضعُ عنهُمْ إصْرهُمْ والاغلالَ الّتي كانَتْ عَليهِمْ فالّذينَ آمَنُوا بهِ وعزّروهُ ونصرُوهُ وَاتّبعُوا النُّورَ الّذي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ».**

(الأعراف/١٥٧)

«وَإذْ قالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ يا بَني اسرائيلَ إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التّوارةِ وَمُبَشّراً بِرَسُولٍ يَأْتي مِنْ بَعدي اسمُهُ أحمَدُ فلمّا جاءَهُمْ البيّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبينٌ».

(الصف/٦)

لقد جاء في انجيل يوحنّا تلميذ السيد المسيح ــ قبل أن يحرّف هذا الإنجيل ــ بشارة المسيح بمحمد (ص) فقد جاء في الإنجيل:

«فلو قد جاء المنحمنّا (٥) هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب، روح القدس، هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد عليَّ وأنتم أيضاً، لأنّكم قديماً كنتم معي، في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا» (١).

و يذكر انجيل يوحنا على لسان المسيح لأتباعه يرشدهم الى النبي المنتظر من بعده

---

(٥) المنحمنا: هو النبي محمد (ص) باللّغة السريانية التي كتب فيها هذا الانجيل.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية.

« محمد (ص) » ، فقد قال المسيح :

« ان لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لأنّه لا يتكلّم من نفسه بل كان ما يسمع يتكلّم به ويخبركم بأمور آتية » (١) .

لذلك شهد النجاشي ملك الحبشة المسيحي بنبوّة محمد (ص) بعد أن حدّثه جعفر بن أبي طالب زعيم المهاجرين المسلمين الى الحبشة ، وقال لجعفر بعد أن بكى هو وعلماء المسيحية الذين كانوا في مجلسه بعد أن تلا جعفر سورة مريم :

« إِنَّ هذا وَالّذي جاء بَه عيسى لَيَخرج مِنْ مِشكاةٍ واحدةٍ » (٢) .

الخلاصة

ــ جاء في الانجيل بشارة موسى وعيسى (ع) بمجيء نبيّ يصلح الأرض من بعدهما هو « محمّد » (ص) .

ــ وقد أكّد القرآن وجود هذه البشارة .

ــ وشهد (النجاشي) ملك الحبشة المسيحي بنبوّة محمّد (ص) ، كما شهدت مجموعة من علماء المسيحية بذلك .

---

(١) الأصحاح (١٦) / الآيات (١٢ ــ ١٥) .

(٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (١) / ص (٣٥٩ ــ ٣٦٠) .

البعثة ونزول الوحي

عندما بلغ نبينا محمد(ص) أربعين سنة من عمره الشريف بعثه الله سبحانه نبيّاً وهادياً للبشرية جمعاء.

قال تعالى: «**يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناكَ شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنِهِ وسراجاً منيراً**».

وقد أعدّه الله وأدّبه بأفضل الآداب وطهّره من الذنوب والمعاصي من طفولته ليكون هادياً ومصلحاً حتى أنّ العرب في الجاهلية قبل الاسلام كانت تسمّيه «الصادق الأمين» وتستودع عنده الأمانات لحفظها..

لقد حفظه الله من أخلاق الجاهلية وعاداتها السيّئة وسدّده منذ أن كان طفلاً.. لذا يقول الامام علي(ع): «**ولقد قَرَنَ الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره**»(١).

وقبل أن يأتيه جبريل(ع) وقبل أن يبعثه الله نبيّاً.. كان يذهب الى غار حراء(*) وهو غار في أعلى جبل قرب مكّة في كلّ سنة في شهر رمضان و يبقى هذا الشهر كلّه يتعبّد هناك و يتأمّل في ملكوت السماوات والأرض.. وكان يطعم من يأتيه من الفقراء.. كما كان يذهب في أوقات أُخرى الى هذا الغار المبارك الذي ما زال موجوداً.. وكان إذا انتهى شهر رمضان وعاد الى مكّة يتّجه الى الكعبة أوّلاً فيطوف حولها ثم يذهب الى بيته..

ولقد كان النبي(ص) قبل أن يأتيه جبريل(ع) في الغار يرى في المنام الرؤية الصادقة وهي درجة من درجات الوحي..

وفي السنة التي أراد الله أن يبعثه فيها وهي سنة (٦١٠) ميلادية.. ذهب في ذلك العام في شهر رمضان الى غار حراء وأخذ أهله معه.

وفي يوم من أيام هذا الشهر المبارك هبط جبريل على النبي(ص) وقال له: إقرأ.. فسأله

---

(١) نهج البلاغة / تنظيم د. صبحي الصالح / ص (٣٠٠) / ط (١).

(*) حتى الآن يزوره الحجّاج، و يتبرّكون به.

النبي (ص) وماذا أقرأ ، وكرّر عليه القول أربع مرّات والرسول يقول له : ماذا أقرأ .. ؟

فقرأ عليه جبريل وقال له : « **إقرأ باسم ربّك الّذي خلق * خلق الانسان من عَلَق * إقرأ وربّك الأكرم * الّذي علّم بالقلم * علّم الانسان ما لم يعلم** » .

فكانت هذه أوّل آيات نزلت من القرآن الكريم وكانت هذه بدايات النبوّة والوحي والبعثة المباركة .

وحين بُعِثَ رسول الله (ص) جاء الى زوجته خديجة بنت خويلد فأخبرها بنزول الوحي ففرحت بذلك وصدّقته وآمنت به .. فكانت أوّل إمرأة أسلمت .. وأخبر بعد ذلك ابن عمّه علي بن أبي طالب الذي كان قد نشأ وتربّى في بيت رسول الله (ص) بعد أنْ أخذه من أبيه أبي طالب وهو صغير بسبب القحط الذي أصاب مكّة ، فربّاه فكان أقرب الناس الى خلق رسول الله (ص) وصفاته .. لذلك صدّقه وآمن به وتابعه وعمره حينذاك عشر سنين .. فكان علي (ع) أوّل من آمن من الرجال ، ثم أسلم زيد بن حارثة وكان مملوكاً لخديجة فوهبته لرسول الله (ص) ، وهكذا تشكّلت النواة الأولى للدعوة الاسلامية والمجتمع الاسلامي من رسول الله (ص) وخديجة وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة .. واستمر الوحي ينزل على رسول الله (ص) وانّ أوّل شيء علّمه جبريل لرسول الله (ص) هو التوحيد ومعرفة الله ثمّ الصلاة ، فقد توضّأ جبريل أمام رسول الله وعلّمه كيفية الوضوء ثمّ صلّى أمامه فعلّمه الصلاة .. وجاء رسول الله (ص) فعلّم زوجته خديجة وابن عمّه علي بن أبي طالب الوضوء والصلاة .. فكان أوّل من صلّى مع رسول الله (ص) هم علي وخديجة .. وكانوا يصلّون خلفه (ص) وكانت الصلاة حينذاك ركعتين في كلّ وقت .

الخلاصة

بعث الله سبحانه محمّداً (ص) نبيّاً للناس ، وهادياً للبشرية ، عندما بلغ الأربعين من عمره الشريف ..

وأنزل الله تعالى عليه القرآن بواسطة جبريل (ع) بينما كان النبي (ص) يتعبّد في غار حراء..

فرح النبي (ص)، وعاد مسرعاً الى البيت، وأخبر زوجته خديجة بنت خويلد، فصدقته، وآمنت به، فكانت أوّل من آمنت بمحمد (ص) من النساء، وآمن به ابن عمّه علي (ع)، فكان أول من آمن من الرجال.

المناقشة

١ ــ اذكر قول النجاشي بعد أن قرأ عليه جعفر بن أبي طالب شيئاً من القرآن.

٢ ــ الأدلّة على نبوّة محمّد (ص) كثيرة.. ومنها ما يمكن الاحتجاج به على اليهود والنصارى بصورة أساسية.. اذكر هذه الأدلّة.

٣ ــ اكمل العبارات الآتية:

أ) إنّ العرب في الجاهلية كانوا يسمّون النبيّ محمداً (ص) بـ............................

ب) نزل الوحي على النبيّ (ص) في غار.......... سنة.......... ميلادية. وكان الملك الذي يأتي بالوحي اسمه...............

ج) كان أوّل من آمن بالنبي (ص) من الرّجال هو.............. وكانت أوّل من آمن من النساء هي................

د) إنّ أوّل شيء علّمه جبريل لرسول الله (ص) هو التوحيد ومعرفة الله، ثمّ

٤ ــ ما هي أوّل آيات نزلت من القرآن الكريم.

الدعوة الى الاسلام

واستمرّ الوحي ينزل على الرسول (ص) ، واستمر رسول الله (ص) يدعو الناس الى الاسلام سرّاً ، و يدعوهم الى توحيد الله وعبادته وترك عبادة الأوثان التي كانوا يعبدونها ، وقد مرّت الدعوة الاسلامية بمرحلتين :

١ ــ المرحلة السرّية : وفي هذه المرحلة كان الرسول (ص) يدعو الناس سرّاً الى الاسلام ليكوّن قوة وجماعة من المؤمنين به تستطيع الثبات ومقاومة المشركين .. وقد استمرّت هذه المرحلة ثلاث سنوات وتكاثر عدد المؤمنين فيها حتى بلغ (٤٠ شخصاً) ، وقد اتّخذوا لهم مقرّاً سريّاً يجتمعون به وهو بيت الأرقم بن الأرقم المخزومي ..

وكان رسول الله يعلّم أصحابه القرآن والصلاة وأخلاق الاسلام وأحكامه و يربّيهم على الفضيلة و يقوّي فيهم العزيمة والصبر على تحمّل الأذى والاضطهاد الذي كان رسول الله يعلم أنّ قريشاً ستجابهه هو وأصحابه بهذا الاسلوب كما جابه الطغاة كلّ الأنبياء والمرسلين ودعاة الهدى .. وستحاربه وتعاديه لأنّه يريد القضاء على ديانتها الوثنية ومصالحها وتسلّطها على الناس واستعبادها للمستضعفين ..

لذا فإنّ الطغاة والمستكبرين من زعماء قريش سيحاربونه و يرفضون دعوته .. دعوة العدل والرحمة والمساواة .. وهذا هو سبب اتّخاذ الرسول (ص) أُسلوب السرّية وعدم الإعلان عن دعوته .. فكان يتّصل بالأشخاص سرّاً و يدعوهم الى الاسلام و يضمّهم الى صفوف الدعوة الاسلامية .. حتى أن أصحاب الرسول كانوا إذا أرادوا الصلاة خرجوا الى شعاب مكّة فيصلّون هناك سرّاً لئلا يراهم أحد من المشركين فيؤذيهم .. وفي أحد الأيام كان عدد من المؤمنين يؤدّون الصلاة خارج مكّة بعيداً عن أنظار المشركين .. فاكتشفهم بعض المشركين وعرف بهم فاعتدوا عليهم بالضرب فردّ المسلمون عليهم وتضاربوا معهم فضرب أحد المسلمين رجلاً من المشركين بعظم بعير فجرحه وسال الدّم منه ..

استمرّ الرسول بنشر الدعوة سرّاً وأخذ البعض يقبل على هذه الدعوة الاسلامية المباركة و ينظم إليها حتى كثر عدد المسلمين وأخذ الناس يتحدّثون بوجود نبيّ جديد ودين جديد .

٢ ـ المرحلة العلنية : وعندما تكاثر عدد المسلمين وانتشر خبر وجود الاسلام بين الناس أمر الله سبحانه نبيّه بإعلان دعوته وأن يدعو الناس علناً الى الاسلام و يطلب منهم الدخول في الاسلام لإنقاذ البشرية واصلاح أوضاعها العقائدية والاخلاقية والاجتماعية المتفسّخة فأنزل الله سبحانه على نبيّه الآية الكريمة التي يأمره بها بالاعلان عن دعوته .. وهي :

« فَاصْدَعْ بِما تُؤمرُ وَأعْرِضْ عَنِ المُشركينَ » (١) .

الرسول يدعو عشيرته :

وأمره الله سبحانه أن يدعو عشيرته الأقربين و يطلب منهم الدخول في الاسلام ، فقد كان لأعمام النبيّ (بني هاشم) مكانة عظيمة وموقع قيادي بين العرب وكانت العرب تحترمهم وتهابهم .. وإنّ دخولهم في الاسلام يسبّب انتصاراً عظيماً للنبيّ (ص) وللدعوة الاسلامية .. فأمره بقوله تعالى :

« وَأنْذِرْ عَشيرَتكَ الأقربينَ * وَأخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمْنينَ * فَإنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إنّي بَريءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ » (٢) .

---

(١) الحجر / (٩٤) .

(٢) سورة الشعراء / (٢١٤ ــ ٢١٦) .

وحين نزلت هذه الآية على رسول الله (ص) دعا الامام علي (ع) وأخبره بأنّ الله يأمره بأن يدعو عشيرته الى الاسلام وطلب من علي أن يصنع طعاماً وأن يدعو بني عبد المطّلب في بيت رسول الله (ص) ليشرح لهم الرسول (ص) الدعوة الاسلامية ومبادئها العظيمة و يطلب منهم الدخول في الاسلام.

فصنع علي (ع) الطعام ودعا بني عبد المطلب للحضور في بيت الرسول (ص)، فحضروا وكان عددهم حوالي أربعين رجلاً .. وكان فيهم أعمام النبي، أبوطالب وحمزة والعباس وأبو لهب ..

وحدثت في هذا الاجتماع معجزة عظيمة للرسول الكريم، وهي البركة في الطعام .. حيث كانت الوليمة مكوّنة من صاع من الطعام ورجل شاة وعسٍ من اللّبن .. ومثل هذا الطعام كان بامكان رجل منهم أن يأكله .. إلّا أنّ الرسول أخذ قطعة من اللّحم بأسنانه الشريفة وألقاها في جانب المائدة فأخذوا يأكلون جميعاً و يشربون من اللّبن حتى شبعوا .. ثم بدأ الرسول (ص) يتحدّث معهم و يدعوهم للدخول في الاسلام .. فقال: **«يا بني عبد المطّلب إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم، قال فأحجم القوم عنها جميعاً، فنهض علي بن أبي طالب ـ وكان صبيّاً لم يبلغ الحلم ـ فقال أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه»**.

وأصرّ رسول الله على مواصلة الدعوة وتبليغ الرسالة، فوقف (ص) يوماً على الحِجْر (حِجْر اسماعيل) بجوار الكعبة المشرّفة ونادى: **«يا معشر قريش و يا معشر العرب أدعوكم الى عبادة الله وخلع الأنداد والأصنام، وأدعوكم الى شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله، فأجيبوني تملكوا بها العرب، وتدين بها لكم العجم، وتكونون ملوكاً في الجنّة، فاستهزأوا منه وضحكوا وقالوا: جنّ محمّد بن عبد الله، وآذوه بألسنتهم»** (٢).

وهكذا كان الرسول يدعو ولا يبالي بمن يعاديه أو يكذّبه أو يستهزىء بدعوته.

---

(١) الطبري / تأريخ الطبري / ج (٢) / ص (٦٣).

(٢) الطبرسي / إعلام الورى بأعلام الهدى / ص (٣٩).

الخلاصة

ــ بعد نزول الوحي على الرسول (ص) أخذ يدعو الناس الى الاسلام والايمان والعمل الصالح ، وترك عبادة الأوثان . وقد مرّت الدعوة الاسلامية بمرحلتين :

١) المرحلة السرّيّة : التي استمرّت ثلاث سنوات .

٢) المرحلة العلنية : حيث أمر الله سبحانه نبيّه بإعلان دعوته الى الناس كافّة ، وأمر رسول الله (ص) بأن يدعو عشيرته الى الاسلام . فجمع النبيّ بني عبد المطّلب ، ودعاهم الى نصرته ومؤازرته ، فلم يجبه إلاّ علي بن أبي طالب .. واستمرّ الرسول بدعوته لا يبالي بالتكذيب والاستهزاء والعناد .

المناقشة

١ ــ لماذا كان الرسول (ص) يدعو الناس سرّاً الى الاسلام في بداية الدعوة ؟

٢ ــ أكمل العبارات الآتية :

استمرّت المرحلة السّرية للدعوة الاسلامية .... ، وتكاثر عدد المؤمنين فيها حتى بلغ .... ، واتّخذوا مقرّاً سرّيّاً لهم ، وهو ....

٣ ــ تحدّث بايجاز عن قصة دعوة النبيّ (ص) لعشيرته الأقربين .

٤ ــ إذا أردت أن تدعو قريبك ، أو صديقك ، الى الالتزام ، والتمسّك بالاسلام ، كيف يمكنك الاستفادة من أُسلوب الرسول (ص) في التبليغ والدعوة .. ؟

ثبات الرّسول

واستمر رسول الله (ص) بتبليغ الرسالة والدعوة الى الاسلام وتحرير الانسان من الجهل والكفر واستعباد الطواغيت والمناداة بتراء الأصنام وعادات الجاهلية ، وذاع صيت الدعوة وعرف الناس بها وراحوا يدخلون في الاسلام فخافت قريش على مصالحها وسلطتها وأصنامها ، وشعرت بخطر الدعوة الاسلامية ، فجاءوا الى عمّه أبي طالب يطلبون منه أن يكفّ محمّداً (ص) عن هذه الدعوة .. فقالوا : **« أكفف عنّا ابن أخيك فإنّه قد سفّه أحلامنا ، وسبّ آلهتنا ، وأفسد شبابنا ، وفرّق جماعتنا .. فدعاه أبو طالب فقال : يا ابن أخي إنّ القوم قد أتوني يسألونك أن تكفّ عن آلهتهم ، قال : يا عم لا أستطيع أن أعصي أمر ربّي »** (١) .

ويئست قريش من تراجع الرسول (ص) ، وعرفوا أنّه ثابت على دينه ولا يمكن أن يتراجع ، فاجتمعوا مرّة اخرى وجاءوا أبا طالب وقالوا له : **« يا أبا طالب ان كان ابن أخيك يحمله على هذا الفعل العدم (الفقر) ، جمعنا له مالاً فيكون أكثر من قريش مالاً ، فدعاه أبو طالب وعرض ذلك عليه ، فقال له رسول الله (ص) ، أيا عم مالي حاجة في المال ؛ فأجيبوني تكونوا ملوكاً في الدنيا وملوكاً في الآخرة ، وتدين لكم العرب والعجم »** (٢) .

وجاءت قريش مرة أُخرى الى أبي طالب ، وقالوا له إنّ ابن أخيك يشتم آلهتنا .. وطلبوا منه أن يترك التعرّض لأصنامهم والدعوة الى الله الواحد الأحد .. فقال الرسول (ص) لعمّه أبي طالب : **« يا عماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته »** (٣) .

ثم بكى رسول الله (ص) تألّماً من أذى قريش وخوفاً على دعوته ثم قام وانصرف عن

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الطبري / تأريخ الطبري / ج (٢) / ص (٦٧) .

عمّه أبي طالب .. فناداه أبوطالب وقال له : «**أقبل يا ابن أخي ، فأقبل رسول الله (ص) فقال : إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً** »(١) .

وهكذا كان موقف أبي طالب دفاعاً عن الرسول وحماية الدعوة الاسلامية .. وهكذا أصر الرسول (ص) على دعوته وثبت على دينه ورفض المال والملك والدنيا من أجل عقيدته ورسالته ، وقاوم ضغوط الطواغيت وعداوتهم وتحدّاهم جميعاً ونشر الدعوة الاسلامية لاصلاح البشرية وانقاذها من الجهل والظلم والتأخّر والفساد ..

ومرّة أُخرى ذهب عتبة بن ربيعة وهو من زعماء المشركين الى رسول الله (ص) وقال له : «**يا ابن أخي إنّك منّا حيث قد علمت من المكان في النسب وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، فاسمع منّي أعرض عليك أموراً لعلّك تقبل بعضها .. إن كنت إنّما تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد تشريفاً سوّدناك علينا ، فلا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك علينا** »(٢) ..

فرفض الرسول كل ذلك وراح يقرأ عليه سورة السجدة فانبهر عتبة وأعجب بما سمع وعرف أن الرسول لا يطلب مالاً ولا جاهاً إنّما يدعو الى الحقّ .. يريد توحيد الله وإنقاذ البشرية من الضلال والظلم والفساد .

وهكذا كان ثبات الرسول وإخلاصه للعقيدة والرسالة والدفاع عنها .

الاذى والاستهزاء بالرسول :

« فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعرِضْ عَنِ المُشْرِكينَ * اِنّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئين » .

(الحجر/٩٤ ــ ٩٥)

إنّ من سنن التأريخ والدعوات الالهية أن يواجه الجاهليون في كلّ زمان ومكان الدعوة الالهية بالعناد والسخرية والاستهزاء وإيذاء الرسل وقتلهم وقتل وتعذيب أتباعهم والدعاة الى دين الله سبحانه .. وقد آذى المشركون نبينا محمّداً (ص) وأصحابه أذى شديداً واستهزأوا

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (١) / ص (٢٨٣) .

(٢) المصدر السابق ص (٢٨٤) .

به .. فكفاه الله المستهزئين وأهلكهم جميعاً .. وكان هؤلاء من زعماء قريش يسخرون بالنبي ودعوته ، وهم «العاص بن وائل السهمي ، والحارث بن قيس بن عدي السهمي ، والأسود بن المطلب بن أسد ، والوليد بن المغيرة المخزومي ، والأسود بن عبد يغوث الزهري» (١) .

فقد كان أبولهب من أشدّ الناس أذى ومعاداة للرسول (ص) وكان ينادي في الناس أنّ ابن أخي كذّاب فلا تصدقوه .. وكان أبولهب جاراً لرسول الله فكان يؤذيه و يرميه بالحجر فيلقيه على داره ..

وأشتدّ أذاهم لرسول الله (ص) فكان يوماً يصلّي وحوله ناس من قريش وكان بقربهم سلا وفرث (٢) بعير، فقالوا من يأخذ هذا السلى والفرث و يلقيه على ظهر محمد وهو ساجد .. فجاء عقبة بن أبي معيط فقذفه على ظهر النبي (ص) وكانت بالقرب منه فاطمة ابنته ، فرفعته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك .. ثم دعا رسول الله (ص) عليهم .. ولم يكن يدعو عليهم من قبل فاستجاب الله دعاءه وقتل هؤلاء جميعاً في معركة بدر التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة (٣) .

المناقشة

١ ـ أذكر بعض الأساليب التي مارستها قريش في محاربة الرسول (ص) والدعوة الاسلامية .

٢ ـ أذكر أسماء أهمّ زعماء المشركين في مكّة ، الذين كانوا يسخرون بالنبي (ص) .

٣ ـ قال أبوطالب للنبيّ (ص) مدافعاً عنه وحامياً لدعوته : .... (أذكر القول ، ووضّح معناه) .

٤ ـ ما هي العبر والعظات التي نستفيدها من ثبات الرسول (ص) وصموده .. ؟

---

(١) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٢٤) .

(٢) السلا : الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي ، تنزع من وجه الفصيل ساعة يولد وإلّا قتلته . الفَرث : الكرش من السّرجين .

(٣) الطبرسي / أعلام الورى / ص (٤٧) / عن صحيح البخاري .

قريش تعذب المسلمين

وحين رأت قريش أنّ الرسول (ص) مُصِرّ على دعوته وأنّ أصحابه متمسّكون بدينهم وصابرون على عقيدتهم وأنّ أبا طالب زعيم قريش وسيّدها و بني هاشم ــ عدا أبي لهب ــ قاموا بحماية الدعوة الاسلامية والدّفاع عن الرسول لجأت قريش الى تعذيب المسلمين وتشديد الضغط والإرهاب عليهم كما يصنع كلّ الطغاة والمجرمين في مختلف عصور التأريخ .. وكما عذّب وقتل كثير من أتباع الأنبياء والرسل من قبل .. فبدأوا بتعذيب ضعاف المسلمين ومن ليس لهم قوة ولا عشيرة تدافع عنهم ، فعذّبوا أُسرة آل ياسر .. وهم ياسر وزوجته سُميّة وإبنهما عمّار .. فكان أبوجهل يعذّبهم عذاباً شديداً و يضربهم بالسّياط .. حتى طعن أبوجهل سُميّة برمح وقتلها ، فاستشهدت ، وكانت أوّل شهيدة في الاسلام .. واستشهد زوجها ياسر بالتعذيب فمات ..

وعذّبوا الصحابي خباب بن الارث وصهيب بن سنان الرومي وأبوفكيهة الأ زدي وعامر بن فهيرة و بلال الحبشي .. وغيرهم من الرجال والنساء المسلمين ..

واشتدّ الأذى والتعذيب والإرهاب فصبر المسلمون المستضعفون بعزيمة قو يّة وإرادة صلبة .. وكان رسول الله (ص) يشدّ أزرهم و يقوي عزيمتهم فكان يمرّ على آل ياسر وهم يعذّبون في حرّ الشمس ولهيب الرمال .. فيقول لهم : **« صبراً آل ياسر إنّ موعدكم الجنّة »** .

وكانوا يعذّبون بلال الحبشي ، واشتدّوا في ضربه وتعذيبه وطلبوا منه أن يكفر بالله و بدعوة الرسول محمّد (ص) ، وكانوا يضعون صخرة كبيرة على صدره بعد أن عرّوا جسده ووضعوه على الرمال المحرّقة في حرارة الشمس وراحوا يضربونه و يسحبونه على الرمال وهو صابر ينادي (أحد .. أحد) .

واشتدّ الأذى والتعذيب والمسلمون صابرون ثابتون لم يتراجعوا عن دينهم .. وقريش تقتل وتعذّب وتؤذّي من دخل الاسلام .. إلّا أنّ هذه الدعوة الاسلامية انتشرت رغم كلّ هذه الأساليب لأنّها دعوة لتحرير الانسان وتوحيد الله واصلاح المجتمع ومكافحة الجهل

والكفر والخرافة .

وكان الرسول (ص) يطلب من أصحابه الصبر والثبات و يقوي عزائمهم .. حتى أنّ خبّاب بن الارث جاءه في أحد الأيام بعد أن اشتدّ الأذى والتعذيب والاضطهاد على المسلمين وقال له يا رسول الله لو دعوت الله لنا ليفرّج عنّا ، فقال له الرسول : « **إنّكم لتعجلون ، لقد كان الرجل ممّن كان قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ، ويشقّ بالمنشار فلا يردّه ذلك عن دينه ، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف إلّا الله والذئب على عنزه** » (١) .

فالرسول يريد أن يمحّص أصحابه ويختبر الله صدقهم وصبرهم من أجل العقيدة والمبدأ .. فصبروا وثبتوا وكان جزاؤهم النصر في الدنيا ، والجنان والنعيم في الآخرة .

---

(١) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٢٨) .

الخلاصة

١ ــ شعرت طواغيت قريش بخطر الدعوة الاسلامية على ديانتها الوثنية ، وسلطتها الظالمة ، فاستخدمت مختلف الوسائل لتثني الرسول (ص) عن دعوته ، كالتهديد والوعيد ، ومحاولة الاغراء بالمال والسلطة ، والأذى والاستهزاء ، وكان أشدّ الناس أذى الرسول (ص) عمّه أبا لهب .

٢ ــ قاوم الرسول (ص) ضغوط الطواغيت وأساليبهم ، واستطاع أن ينشر الدعوة الاسلامية بثباته وصموده واخلاصه .

٣ ــ اشتدّت قريش في تعذيب وإرهاب المسلمين ، ولكنّهم ثبتوا وصبروا ، ولم يتراجعوا عن دينهم ، وكان الرسول (ص) يطلب من أصحابه الصبر والثبات ، و يقوّي عزائمهم ، حتى نصرهم الله عزّوجلّ ، وانتشرت الدعوة الاسلامية ، رغم الأعداء والتحدّيات .

المناقشة

١ ــ أذكر أسماء أصحاب النبيّ (ص) الذين عذّبوا ، واستشهدوا في سبيل الاسلام .

٢ ــ كان الرسول (ص) يمرّ على آل ياسر ، وهم يعذّبون فيقول لهم :
« .... » .

٣ ــ أعطى النبيّ (ص) درساً في الصّبر والثبات لأحد أصحابه ، وهو خبّاب بن الأرث ، ما هو هذا الدّرس .. ؟

الهجرة الى الحبشة

الهجرة الاولى :

عندما اشتدّ أذى قريش للمسلمين وتعذيبهم لهم ورأى رسول الله (ص) المحنة الشديدة التي يعيشها أصحابه والظلم الذي يقع عليهم ، وهو في حماية من الله وعمّه أبي طالب ، لا تستطيع قريش أن تعتدي عليه بقتل أو تعذيب .. عندما رأى رسول الله (ص) ذلك أمر أصحابه أن يخرجوا من مكة و يهاجروا الى الحبشة .. للحفاظ على دينهم وحماية أنفسهم من أذى أهل مكّة وتعذيبهم وإرهابهم .. على أن يبقى هو(ص) يواصل دعوته و يبلّغ رسالته و ينشرها بين الناس الذين يستجيبون له .

فأطاعوا أوامره وتركوا أوطانهم وأهلهم وأموالهم وخرجوا للحفاظ على دينهم وعقيدتهم ، فهي أعزّ وأغلى من كلّ شيء .. لقد قال الرسول (ص) لأصحابه : « **لو خرجتم الى أرض الحبشة فإنّ فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممّا أنتم فيه** » (١) .

استجاب المسلمون المستضعفون لأوامر الرسول وهاجر منهم أربعة عشر مسلماً .. أربع نسوة ، وعشرة رجال بقيادة الصحابي المجاهد عثمان بن مظعون الذي صحبته زوجته في هذه الهجرة فكانت أوّل امرأة تهاجر في الاسلام الى أرض الحبشة ، وطلب الحماية من ملكها النجاشي .

وكانت هجرتهم في شهر رجب في السنة الثانية بعد اعلان الرسول عن دعوته المباركة .. أي بعد مرور خمس سنوات على بدأ البعثة النبوية الشريفة .

توجّهوا جميعاً الى أرض الحبشة واستقرّوا فيها شهرين .. شهر شعبان ورمضان .. ثم شاعت أخبار غير صحيحة بأنّ المشركين قد صالحوا المسلمين فعادوا الى مكة إلّا أنّهم وجدوا المشركين أشدّ قساوة وعداوة وأذى للمسلمين فلم يستطيعوا دخول مكّة إلّا بعد أن كفلتهم

---

(١) ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / ص (٨) / ط (١٣٨٥هـ) .

وتعهّدت بحمايتهم بعض شخصيات مكّة .. وهكذا انتهت الهجرة الأُولى الى الحبشة .

الهجرة الثانية الى الحبشة :

استمرّ الرسول (ص) بنشر الدعوة الاسلامية ومكافحة عقائد الشرك وعادات الجاهلية وأخلاقها الفاسدة ، ومعه المؤمنون الصابرون من أصحابه .. لذلك اشتدّ أذى قريش وتعذيبها للمسلمين واعتدائها عليهم .. فطلب الرسول من المسلمين مرّة ثانية أن يهاجروا الى الحبشة و يكونوا بحماية النجاشي ملك الحبشة العادل الذي كان على دين المسيح (ع) والذي أحبّ المسلمين وناصرهم ودافع عنهم .. وكان اسمه (أصحمة) .. فهاجر عدد كبير من المسلمين المستضعفين رجالاً ونساءً .. بقيادة جعفر بن أبي طالب (ع) ابن عمّ الرسول ، هذا المجاهد العظيم الذي جاهد في سبيل الله ودافع عن الاسلام .. وقد صحبته زوجته في هذه الهجرة أسماء بنت عميس .. واستمرّ المسلمون في الهجرة فيما بعد حتى بلغ عددهم اثنين وثمانين رجلاً وعدّة نساء .. فقد شاركت النساء في الهجرة وتحملنّ الأذى والغربة وقساوة العيش للدفاع عن الاسلام وحماية العقيدة الى جنب الرجال .. فكنّ من المسلمات المهاجرات السابقات في الايمان والهجرة ..

المسلمون في الحبشة :

وصل المسلمون الى الحبشة واستقرّوا فيها بحماية ملكها العادل النجاشي .. فلمّا علمت قريش باستقرار المسلمين وحماية النجاشي لهم خافت من أن تقوى الدعوة الاسلامية بحماية دولة النجاشي و ينتشر الاسلام .. لذلك قرّرت أن ترسل شخصين من رجالها ، وهما : بحيرى بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الى النجاشي لتقنعه بتسليم المسلمين اليها والتخلّي عنهم .. وقد حملوا معهم الهدايا الثمينة الى النجاشي ورجال دولته وحين وصلوا الى الحبشة قدّموا هداياهم الى النجاشي .

فقبل منهم تلك الهدايا ثمّ أخذوا يتحدّثون معه عن المهاجرين و يصفونهم بأنّهم مجموعة من السفهاء المعتدين ، ويحرّضونه عليهم و يطلبون منه تسليمهم الى قريش لتعذّبهم وتقضي

عليهم وتمنع انتشار الدعوة الاسلامية التي ينادون بها ، إلّا أنّ النجاشي **كان ملكاً عاقلاً لم** يصدّقهم ولم يستجب لطلبهم ، بل قال لهم كيف أسلّمهم **إليكم وقد اختاروا بلادي** وجاوروني ولجأوا إليّ ولم يلجأوا الى غيري .

إلّا أن أحضرهم وأسألهم عن دينهم وعقيدتهم فان كانوا كما **تقولون رددتهم إليكم ،** وإلّا تركتهم يعيشون هنا وتعهّدت بحمايتهم .. وعندئذ طلب النجاشي **حضور جعفر بن** أبي طالب زعيم المهاجرين وأصحابه ليسألهم عن دين الاسلام .. وحينما **حضروا سألهم** النجاشي عن دينهم وسبب هجرتهم وفرارهم من ديارهم الى أرض **الحبشة فتكلّم جعفر بن** أبي طالب وقال : **« أيّها الملك كنّا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منّا الضعيف ، فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدّقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحّده ونعبده ، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ..** ثمّ أخذ يوضّح له ما جاء به الرسول الكريم الى أن قال له : **فصدّقناه وآمنا به وأتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث ، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيّها الملك ، فقال له** النجاشي : هل معك ممّا جاء به (الرسول محمد ـ ص ـ) **عن الله من شيء ؟ فقال له** جعفر : نعم ، فقال له النجاشي فاقرأه عليّ : فقرأ عليه **جزءاً من سورة مريم : « كهيعص »** ، فبكى النجاشي وبكى من كان معه من الأساقفة .. **ثم قال لهم النجاشي : إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة »** (١) .

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية /ج (١) / ص (٣٦١) .

ثمّ طرد عمرو بن العاص وصاحبه اللذين بعثهما المشركون لاستعادة المسلمين ، وقال لهما : لن أسلّمهم إليكم ، وسأُدافع عنهم ، بعد أن وجد أن عقيدتهم بالله سبحانه هي نفسها عقيدة المسيح عيسى بالله .. وذلك لأنّ الانبياء جميعاً جاءوا بالتوحيد من عند الله وهم رسل الله الى البشرية ..

وهكذا نصر الله المهاجرين ، وخذل المشركين ، وبقي المسلمون في الحبشة آمنين ، مكرّمين ..

وبقي جعفر بن أبي طالب هناك ، ومعه بعض المهاجرين حتى السنة السابعة من الهجرة ، فالتحق في تلك السنة بالرسول الكريم (ص) في المدينة المنورة بعد معركة خيبر ، التي انتصر فيها المسلمون بقيادة الامام علي بن أبي طالب أخي جعفر ، فاستقبله الرسول وقبّله بين عينيه ، وقال حين استقبله : « **والله ما أدري بأيّهم أنا أشدّ سروراً ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر** »(١) ..

ولقد التحق جعفر بن أبي طالب مقاتلاً شجاعاً ، ومجاهداً مخلصاً لله ولرسوله ، حتى قاد المسلمين في غزوة مؤتة التي غزا المسلمون فيها دولة الرّوم ، فاستشهد (رضوان الله عليه) في السنة الثامنة من الهجرة في هذه الغزوة ، فحزن عليه رسول الله (ص) حزناً عظيماً ، وقال حين رأى النساء تبكي على جعفر : « **على مثل جعفر فلتبك البواكي** » .

إنّ تأريخ الدعوة الاسلامية يثبت لنا دور المرأة وجهادها وهجرتها .. وقد رأينا كيف أنّ سميّة زوجة ياسر كانت أوّل شهيدة في الاسلام .. كما عذّبت النساء وهاجرت في سبيل الله .. وعرفنا كيف شاركت أُمّ المؤمنين الكبرى (رضوان الله عليها) خديجة بنت خويلد زوجة الرسول (ص) في نصرة الاسلام بأموالها .. وهكذا نعرف دور المرأة في نشر الدعوة الاسلامية وجهادها المشرق الى جنب الرجال .

---

(١) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٥٦) .

الخلاصة

بعد أن اشتدّ أذى قريش للمسلمين ، أمر النبي محمد (ص) بعض أصحابه بالهجرة الى الحبشة لوجود ملك عادل فيها .. فهاجر عشرة رجال ، وأربع نساء ، بقيادة الصحابي عثمان بن مظعون (رض) .. وبعد مدّة عادوا الى مكة ، ثم هاجر المسلمون مرّة ثانية بقيادة جعفر بن أبي طالب (رض) .. فأرسلت قريش وفداً الى ملك الحبشة ، ليعيد المسلمين اليها .. فرفض الملك ذلك ، وظلّوا هناك حتى فتح خيبر عام (٦) هـ .

المناقشة

١ ــ هل كان الخوف من اضطهاد قريش وحده هو السبب لهجرة المسلمين ؟

٢ ــ لماذا اختار الرسول (ص) أرض الحبشة ليهاجر اليها المسلمون المضطهدون ؟ .. ولماذا حاولت قريش إعادتهم الى مكّة ؟

٣ ــ هل شاركت المرأة المسلمة الرجال في الهجرة والدفاع عن الدعوة الاسلامية ؟ .. اذكر أمثلة لذلك .

٤ ــ مجاهد عظيم ، وداعية من دعاة الاسلام ، قاد المهاجرين الى الحبشة في الهجرة الثانية ، اذكره ، واذكر صلته برسول الله (ص) ؟

الحصار والمقاطعة

استمرّ رسول الله (ص) بنشر الدعوة الاسلامية سرّاً وعلناً، واستمرّ الوحي ينزل عليه وكثر عدد المسلمين، ووقف أبو طالب وحمزة بن عبد المطلب الى جانب النبي يحمونه ويدافعون عنه وعن الدعوة الاسلامية، ووقفت بنو هاشم الى جانب الرسول بأجمعهم، عدا أبي لهب الذي كذّب الرسول وآذاه .. ووقف النجاشي الى جانب المهاجرين يدافع عنهم فخافت قريش على مصالحها وسلطانها وأموالها من هذه القوة الاسلامية وأعوانها .. خصوصاً وأن الفقراء والمستضعفين والعبيد اتّبعوا الرسول (ص) وآمنوا به لأنّه المنقذ والمصلح للبشرية .. فقرّرت قريش قتل الرسول (ص) والتخلّص منه إلّا أنّ الخبر قد وصل الى أبي طالب فحذّرهم فخافوا منه وتراجعوا ..

وعندئذ فكّروا في فرض الحصار والمقاطعة الشاملة لرسول الله وبني هاشم والمسلمين جميعاً، فاجتمعوا وكتبوا كتاباً (الصحيفة) قرّروا فيه مقاطعة الرسول وبني هاشم ومن معهم من المسلمين وتعاهدوا على أن لا يزوّجوا بني هاشم ولا يتزوّجوا منهم ولا يبايعوهم ولا يشتروا منهم ولا يسمحوا لأحدٍ أن يبيع لهم أو يشتري منهم شيئاً .. فكتبوا هذا العهد الظالم في صحيفة وعلّقوها داخل الكعبة .. وقد وقّع على الصحيفة ثمانون (١) شخصاً من زعماء ورؤساء المشركين .. فَشُلّت يد الرجل الذي كتب هذه الصحيفة الظالمة وحَصَرت قريش رسول الله والمسلمين في شعب (٢) أبي طالب، ومعه بنو هاشم وبنو المطلب وهم أعمامه .. ثلاث سنوات فأنفق رسول الله (ص) وأبو طالب وخديجة أموالهم من أجل الدعوة الاسلامية حتى لم يبق من مال خديجة شيء وكانت من أكثر أغنياء مكة وأثريائها مالاً، وكانت قريش تمنع إيصال الطعام الى المسلمين. إلّا ما كان يصل إليهم سرّاً من بعض المتعاطفين معهم وذوي رحمهم حتى كانوا يأكلون نبات الأرض .. وأشتدّ بهم الفقر والجوع

(١) ذكر الطبرسي في إعلام الورى أنّ الذين وقّعوا الصحيفة هم أربعون شخصاً من زعماء قريش.

(٢) الشِّعْب : هو الطريق في الجبل، وشعب أبي طالب بمكّة، مكان مولد النّبي (ص) / مجمع البحرين / ج (٢) / ص (٩٠).

فصبروا من أجل العقيدة والدعوة الاسلامية العظيمة وتحمّلوا هذا الحصار.

وحين اشتدّت المحنة على الرسول(ص) ومن معه، نزل جبريل فأخبره بأنّ الله قد بعث الأرضة على الصحيفة فأكلتها جميعها عدا ما كتب فيها من اسم الله.. فخبّر الرسول(ص) أبا طالب بذلك فخرج أبوطالب والرسول وأهل بيته، وتوجّهوا الى الكعبة وجلس بفنائها فأقبلت قريش الى أبي طالب وطلبوا منه أن يترك الاسلام والدفاع عنه وعن الرسول الكريم، فقال لهم احضروا صحيفتكم فسترونها قد أكلتها الارضة فانّ الله قد أخبر نبيّه بذلك.. فلمّا أحضروها وجدوها قد أُكلت عدا ما فيها من ذكر الله فتعجّبوا وقالوا هذا سحر قد عرفناه من قبل.. وحين رأوا صدق ما أخبر به الرسول الكريم تبرّأ جماعة ممّن وقعوها ممّا فيها ونقضوا عهدها وصدّق رسول الله(ص) أُناس كثيرون وآمنوا به.

وهكذا كسر طوق الحصار وخرج رسول الله ومن معه من الشعب وانتصر المسلمون على الحرب الاقتصادية التي فرضها عليهم المشركون.

الخلاصة

بعد أن أصبحت الدعوة الاسلامية قويّة، وأخذت تنتشر سرّاً وعلناً، خافت قريش خوفاً شديداً، وقرّرت باتفاق زعمائها على مقاطعة النبي محمد(ص) ومن آزره من أهله وأعمامه، فحاصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات.. ولكنّها فشلت في ذلك، وخرج المسلمون أقوى عزيمة، وأرسخ عقيدة، وأثبت على الحق والايمان..

وكان لعمّه أبي طالب الفضل الكبير في حماية الدعوة الاسلامية، والدّفاع عن الرسول الكريم(ص).

المناقشة

١ ــ ما هي بنود المحاصرة والمقاطعة التي كتبها زعماء قريش في صحيفتهم؟

٢ ــ هنــاك شبه كبير لبعض بنود صحيفة المحاصرة والمقاطعة التي كتبها زعماء قريش في حـرِبـهـم لـلاسـلام ، مع أشكال المحاصرة والمقاطعة التي تمارسها القوى الاستكبارية مع الـشعوب المستضعفة في عصرنا الحاضر، أذكر شكلاً من أشكال المقاطعة والمحاصرة المذكورة آنفاً .

٣ ــ كـم دامـت المـقـاطـعـة ، ومحـاصـرة النبي (ص) وأعوانه ؟ وهل نجحت ؟ وما هي نهايتها ؟

عام الحزن

وبعد أن خرج المسلمون من الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاجتماعية التي فرضتها عليهم قريش .. فقد رسول الله (ص) في ذلك العام أكبر عون ومعين له وهما زوجته أمّ المؤمنين الكبرى خديجة بنت خويلد التي كانت أوّل من آمن به وصدّقه، وبذلت أموالها العظيمة في سبيل الله ..

وكان عمرها يوم توفيت خمساً وستّين سنة، قبل الهجرة بثلاث سنوات في شهر رمضان المبارك، فتألّم رسول الله (ص) وحزن عليها حزناً عظيماً ..

وحين توفّيت خديجة أخذت ابنتها فاطمة تبكي وهي متعلّقة بأبيها رسول الله (ص) وتقول: أين أمّي .. ؟ أين أمّي .. ؟، فنزل عليه جبريل فقال: « **قل لفاطمة أنّ الله تعالى بنى لأمّك بيتاً في الجنّة من قصب، لا نصب فيه ولا صخب** »(١).

وبعد وفاة خديجة ـ رضوان الله عليها ـ بثلاثة أيّام توفّي أبو طالب (ع) وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر ستّاً وثمانين سنة أو تسعين سنة، وحين سمع رسول الله (ص) بوفاة عمّه تألّم ألماً شديداً، ووقف عليه ومسح جبينه الأيمن والأيسر ثمّ قال: « **يا عمّ ربّيت صغيراً، وكفّلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً** »(٢).

ثمّ قال رسول الله (ص) لشدّة ألمه: « **اجتمعت على هذه الأمّة مصيبتان لا أدري بأيّهما أنا أشدّ جزعاً** »(٣).

وعندئذ اشتدّ أذى قريش للرسول واعتدائها عليه فقال رسول الله (ص): « **ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب** »(٤).

---

(١) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٣٥).

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

(٤) تأريخ الطبري / ج (٢) / ص (٨١).

الخلاصة

فقد رسول الله (ص) في العام الذي تلا الحصار الاقتصادي والمقاطعة الاجتماعية التي فرضتها عليهم قريش، فقد الرسول (ص) أكبر عون وسند له، وهما زوجته أُمّ المؤمنين خديجة الكبرى، وعمّه أبوطالب (رضوان الله عليهم)، وحزن عليهما حزناً عظيماً، وسمّي هذا العام بعام الحزن.

المناقشة

١ ـ متى توفّيت أُمّ المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام ؟
٢ ـ ماذا قال الرسول (ص) عندما وقف على جنازة عمّه أبي طالب ؟
٣ ـ هل تفهم من تأبين النبي (ص) لعمّه أبي طالب، أنّ أباه كان مشركاً أم مؤمناً ؟ وضّح ذلك باختصار.

الى الطائف

توفي أبوطالب وخديجة الكبرى زوج رسول الله (ص) قبل الهجرة بثلاث سنين ، بعد فكّ الحصار عن المسلمين وخروجهم من الشعب ، وبموت أبي طالب ، المحامي والمدافع عن الرسول ودعوته . .

اشتدّ أذى قريش وازدادت وحشيتها ضدّ رسول الله (ص) ودعوته وأصحابه ، فراح رسول الله (ص) يبحث عن أرض جديدة يبلّغ دعوته و يبشّر برسالته بين القبائل العر وأحيائها علّه يجد الاستجابة ، أو يحصل على التأييد والحماية ، فتوجّه الى قرية الطائف ليدعو قبيلة (ثقيف) ، التي كانت تسكن هناك ، و يعرض عليهم الدخول في الاسلام ، فتوجّه الى ثلاثة من زعمائها ليعرض (ص) عليهم الدعوة للدخول في الاسلام ، و يبشّر بمباديء الرسالة .

سَخَر زعماء الطائف من هذه الدعوة واستخفّوا بشخص الرسول الكريم (ص) ورسالته ، وأسمعوه الكلمات الجارحة ، ولم يكتفوا بموقف العناد والاستهزاء بل راحوا يؤلّبون السفهاء والصبيان ويحثّونهم على إيذاء الرسول وإخراجه من قريتهم ، فهاج الغوغاء يرمون الرسول بالحجارة و يسدّون منافذ الطرق ، و يطاردونه في طرقات القرية و يسمعونه القول والكلمات الأثيمة .

تحمّل الرسول هذا الأذى والاستخفاف بقلب النبوّة الكبير، وصبر صاحب الرسالة المؤمن بها ، المتفاني من أجلها على ما أصابه من مشقّة وعناء في رحلة الدعوة والجهاد هذه .

فكان مثالاً للصبر والتضحية على الأذى والاضطهاد والثبات على الحق .

خرج الرسول من الطائف وهو يعاني من معاملة أهلها وقد أرهقه المسير والمطاردة والأذى وادميت قدماه حتى وصل بستاناً (لعتبة وشيبة ابني ربيعة) وجلس تحت نخلة يناجي ربّه و يشكو إليه المحنة :

« اللّهمّ إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلّة حيلتي ، وهواني على الناس .

اللّهمّ يا أرحم الراحمين ، أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربي ، الى من تكلني ؟ الى بعيد يتجهّمني ، أو الى عدوّ ملّكته أمري ، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع ، إنّي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحلّ بي سخطك » (١) .

يئس رسول الله (ص) من ثقيف وحاشاه أن ييأس من حمل الدعوة والاصرار على مواصلة المسيرة والتبشير بالرسالة ، فهو رغم ما عانى من أذى وتعذيب واستهزاء كان راضياً مطمئناً ما دام عمله وجهاده ودعوته ترضي الله سبحانه فهو لا يخاف الأذى والملاحقة والاستهزاء ، إنّما يخاف غضب الله وعدم رضاه .

وما دام قد اطمأنّ الى ذلك فهو يناجي ربّه و يعبّر عمّا في نفسه بقوله : **« إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي »** .

أثار المنظر المحزن والموقف الغريب شفقة وتعاطف صاحبي البستان فأرسلا مع غلام لهما ــ وكان اسمه (عدّاس) و يدين بدين النصرانية ــ عنباً الى رسول الله (ص) .

تناول الرسول (ص) العنب ، ومدّ يده ليأكل فقال :

« بسم الله » .

فأثارت الكلمة استغراب عدّاس ، أثارته بما لها من معان عقائدية وتعبير سلوكي خاص ، وارتباط يعبّر عن روح وتفكير ربّاني ، غريب على عقيدة أهل الطائف وتفكيرهم .

فقال : **« والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة »** ..

فسأله الرسول (ص) :

« من أيّ بلاد أنت وما دينك ؟ » ..

فقال : **« أنا نصراني من أهل نينوى »** ..

فقال الرسول (ص) :

« أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متّي ؟ » ..

فاستغرب عدّاس من القول ، وسأل الرسول مندهشاً :

---

(١) المصدر السابق / ص (٩١ ــ ٩٢) .

« وما يدريك ما يونس ؟ » ..

أجاب الرسول (ص) :

« ذاك أخي ، كان نبياً ، وأنا نبي » ..

سر عدّاس بما سمع وأثّر الموقف والحوار وشخص الرسول (ص) في نفسه فراح يقبّل يدي الرسول ورجليه ، وعتبة وشيبة يرقبان الحوار و يرصدان الموقف ، فالتفت أحدهما الى الآخر ، وهو يقول لصاحبه :

« أمّا غلامك فقد أفسده عليك » ..

حاول عتبة وشيبة أن يقنعا عدّاساً أنّ دينه خير من دين الاسلام ، ويحولا بينه و بين التأثير بدعوة الرسول فلم يفلحا ..

لقد آمن عدّاس ودخل دين الاسلام فعاد الرسول ، ولم يؤمن من أهل الطائف أحد غير عدّاس ؛ عاد وهو أشد عزيمة وأقوى مضاء لا تهوله المواقف الشداد ، ولا تحول بينه و بين رسالته العوائق والأعداء ..

عاد من الطائف وقد ثبّت أروع درس في تأريخ الجهاد والدعوة الى الله سبحانه ، عاد ولم يستطع دخول مكّة إلّا بحماية جوار (المطعم بن عدي) الذي أجاره ودافع عنه .

الخلاصة

بعد وفاة أبي طالب عمّ النبي (ص) وزوجة أُمّ المؤمنين خديجة ، اشتدّ أذى قريش ووحشيتها ضدّ رسول الله (ص) ودعوته وأصحابه ، فخرج الرسول (ص) من مكة يدعو الى الاسلام ، وذهب الى ثقيف ، فدعاهم الى الدين الجديد فلم يستجب له أحد ، وسخروا منه وآذوهُ ، فعاد الى مكّة ، ولم يستطع دخولها إلّا بكفالة المطعم بن عدي ، وفي طريق عودته التقى شخصاً آمن بنبوّته و بالاسلام .

المناقشة

١ ــ متى اشتدّ أذى قريش وعدوانها على النبيّ (ص) وأصحابه ؟ وكيف ؟

٢ ــ هل استجابت ثقيف للدين الاسلامي ؟ وكيف عاملت الرسول (ص) ؟

٣ ــ ما هي قصّة النبيّ الكريم (ص) مع عدّاس ؟

٤ ــ هل يئس الرسول العظيم (ص) من الدعوة الى الله بعد ما لاقى من ثقيف ؟

٥ ــ ماذا نستفيد من هذا الدّرس في مجال الدعوة الى الله ونشر الاسلام ؟

الاسراء والمعراج

«سُبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بَاركنا حوله لنريه من آياتنا إنّه هو السميع البصير»

(الاسراء/١)

تعريف :

لقد خصّ الله نبيّنا محمّداً بمعجزات كثيرة ، ومن هذه المعجزات ، معجزتا (الإسراء والمعراج) ..

فالاسراء : هو السير بالنبيّ محمّد (ص) ليلاً من مكّة الى بيت المقدس ، و بسرعة فائقة عظيمة ، خارجة على حدود المألوف عند الناس .

والمعراج : هو الصعود الى السماوات العلى ، و بلوغ المكان الذي لا يمكن أن يبلغه أحد من البشر، إلّا باذن الله .

وقد حدث الاسراء والمعراج بقدرة إلهيّه .. فهما معجزتان من معاجز الرسول الكريم محمد (ص) ، وليس باستطاعة أيّ انسان أن يفعل ذلك .

الشرح :

لقد شاء الله سبحانه أن يجعل لنبيّه الكريم (ص) معجزة عظيمة ، فأرسل اليه جبريل (ع) ، وحين جاءه جبريل (ع) الى مكّة أخبره بأنّ الله أمره أن يسري به الى المسجد الأقصى وكان معه جبريل (ع) ، فأخرجه من المسجد الحرام (الكعبة) وحمله على البراق ، وانطلق به الى بيت المقدس بسرعة عظيمة ، وعندما وصلوا بيت المقدس ، ربط البُراق في الحلقة التي كانت يربط بها الأنبياء ..

ثمّ وجد الرسول (ص) النبي ابراهيم وموسى وعيسى ، وجمعاً من أنبياء الله الكرام ،

فسلّم عليهم ، ثم تهيّأ للصلاة ، فأمر النبيّ (ص) أن يصلّي بهم ، فصلّى بهم ، ثم عرج به ، الى السَّماء ، فاطّلع على ما فيها من آيات العظمة ، ورأى الجنّة والنّار ، وأعاده جبريل الى مكّة المكرّمة ، في اللّيلة ذاتها ، وفي وقت قصير..

وكان النبيّ بعد الرجوع من بيت المقدس الى مكة قد أخبر قريشاً بالخبر ، ولم يصدّقوه ، وارتدّ عن الاسلام من كان ضعيف الايمان ، وقالت له قريش : إن كنت صادقاً ، فصف لنا بيت المقدس ، فكشف الله للنبيّ عن بيت المقدس فأخذ يصفه لهم وصفاً كاملاً ..

فقالوا له : أخبرنا عن إبلنا التي في الطريق ، هل شاهدتها ؟

فأخبرهم بأنَّها في منطقة (التنعيم) القريبة من مكّة ، وانّهم كانوا يبحثون عن بعير لهم قد ضاع ، وانّها ستصل إليهم مع طلوع الشمس ، يتقدّمها جمل أحمر ، فخرجوا الى مدخل مكّة ، فجلسوا ينظرون طلوع الشمس ليكذّبوا النبي (ص) .. وحين طلعت الشمس ، رأى أحد الجالسين الابل قادمة .. وحين قدموا أخبروهم ؛ بأنّهم قد ضاع منهم بعير ، وكانوا يبحثون عنه .. وهكذا صدق الله نبيّه بتلك المعجزة (١) .

وتحدّث القرآن عن الاسراء والمعراج في سورة الاسراء ، وسورة النجم .. ولكن المشركين ضلّوا مصرّين على تكذيب الرسول وعدم تصديقه ..

لقد وقعت حوادث الاسراء والمعراج هذه في السنة السابعة للهجرة .. وحين رأت قريش صدق الرسول (ص) ، ولم يستطيعوا إبطال هذه المعجزة ، اجتمعوا في دار الندوة ، وقرّروا فرض الحصار على رسول الله (ص) ، وبني هاشم ، وأتباعه ، كما قرّروا قتل النبي أو اغتياله .

فجمع أبوطالب بني هاشم ، ودخلوا الشِّعب مع النبيّ محمّد (ص) ، وأصحابه ، وقام أبوطالب بحراسة النبي (ص) وحمايته من قريش .

---

(١) الطبرسي / أعلام الورى بأعلام الهدى .

هجرة الرسول (ص) الى المدينة

قال الله تعالى يصف لنا هجرة الرسول (ص) بقوله :

« ألا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الّذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها وجعل كلمة الّذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم »

(التوبة/٤٠)

وكان خروجه من بين العصابة التي حاولت قتله ، والتي كانت تطوّق بيته ، وهم لا يشعرون به ، وهو يقرأ الآية الكريمة :

« وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون »

(يس/٩)

وظلّوا طوال اللّيل مجتمعين ، يحاولون الهجوم عليه ، فلم يمكّنهم الله من ذلك ، وعند الصباح نهض علي بن أبي طالب (ع) من فراش رسول الله (ص) ، وحين رأوه ولم يروا الرّسول (ص) تفاجئوا وسألوه أين محمد (ص) ، فقال لهم علي بن أبي طالب : **« قلتم له أخرج عنّا فخرج عنكم »** .. فشعروا بالخيبة والخسران ، وقرّروا البحث عن الرسول (ص) لتنفيذ جريمتهم .

قريش تبحث عن الرسول (ص) :

وحين رأت قريش أنّ الرسول (ص) قد نجا من هذهِ المؤامرة ، توجّهوا نحو الصحراء يبحثون عنه ، فلم يجدوه .. أما الرّسول (ص) فقد سلك الطريق القريب من البحر ، الذي يوصل بين مكة والمدينة ، ليبتعد عن طلب قريش ، وقد صاحبه في هذه الهجرة أبوبكر (رض) ، فسارا حتى وصلا جبل ثور ، فاختفيا فيه ثلاثة أيّام ، وكانت أسماء بنت أبي بكر (رض) تنقل إليهم الطّعام سرّاً .. و بعد ثلاثة أيّام خرج الرسول (ص) وصاحبه

أبوبكر(رض) من الغار، وحين يئست قريش من معرفة مكان الرسول(ص)، جعلت جائزة كبيرة مقدارها (مائة ناقة) لمن يأتيهم بخبره.. لقد أغرت هذه الجائزة الكبيرة رجلاً اسمه (سراقة)، فركب فرسه، وراح يبحث عن الرسول(ص).. وقد استطاع هذا الشخص أن يلتقي بالرسول(ص) في الطريق، ولكنّ الله سبحانه قد أظهر معجزة عظيمة للرسول(ص)، فغارت أرجل الفرس التي كان يركبها سراقة في باطن الأرض. وألقت سراقة ثلاث مرّات قبل أن تغور أرجلها، فاستنجد سراقة برسول الله(ص) واستغاثه طالباً العفو، قائلاً: (يا محمّد إنّي علمت أنّ الذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قبلك، فأدع الله أن يطلق لي فرسي، فلَعمري إن لم يصبكم منّي خير، لم يصبكم منّي شرّ. فدعا الرسول(ص) الله أن يطلق فرسه، فأطلق الله عزّوجلّ فرسه، فعاد في طلب رسول الله(ص)، مرّة ثانية، فطلب من الرسول(ص) العفو، فدعا الله أن يطلق فرسه، فأطلق الله فرسه، ثمّ عاد ثالثة في طلب الرسول(ص)، فغارت قوائم فرسه أيضاً، فطلب من الرسول(ص) العفو، فلمّا أطلقه في الثالثة، قال: يا محمد(ص) هذه إبلي بين يديك، فيها غلامي، فان احتجت الى ظهر، أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة، وأنا أرجع فأردّ عنك الطلب، فقال: لا حاجة لنا فيما عندك)(١).

عاد سراقة بعد أن رأى المعجزة، وسمع وعد رسول الله(ص) الذي أذهله، وترك الحيرة في نفسه.

فقد قال له رسول الله(ص):

«كيف بك يا سُراقة اذا سُوّرت بسواري كسرى»(٢)(٥).

مشيراً بهذا القول الى انتصار الاسلام، وانتشاره في بلاد فارس، التي كانت فيها أعظم دولة في الشرق في ذلك الوقت.

---

(١) الكليني / الروضة في الكافي / ص (٢٦٣).

(٢) ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / ص (١٠٥).

(٥) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٤٠)، ذكر اليعقوبي أنّ سراقة تحدّث بما شاهد من معاجز رسول الله، ولقياه، فكذّبته قريش، وكان أشدّهم تكذيباً له أبوجهل، وذكر ابن هشام أنّ سراقة قد كتم على رسول الله(ص) ولم يتحدّث بشيء.

صور من محنة المهاجرين

وراح المهاجرون يتتابعون أفراداً وجماعات ، ويجتمعون في المدينة المنوّرة ، لبناء المجتمع ، والدولة ، وحمل الدعوة الى العالم أجمع .

وكانت قريش تشتدّ في قساوتها وارهابها وتعذيبها للمسلمين ، فأخذوا يهاجرون الى يثرب رجالاً ونساءً ، حتى أغلقت بعض دور المسلمين ، وأصبحت موحشة خالية من أهلها ، ينـدبها الأحبة ، و يذكرها الشعراء ، وتلك سنة في الدعوة الى الله والهجرة والجهاد ، وقريش تستولي على الأموال والدور ، وتحتجز النساء والاطفال المستضعفين فقد غلقت دار بني مضعون ، و بني جحش و بني البكير .

نهب البيوت والأموال :

ويذكر أنّ دار بني جحش هجرها أهلها ، عبد الله بن جحش وأهله وأُخوته ، فأضحت قفرة خالية مشجية ، وحين خلت الدار من أهلها ، عدا عليها أبوسفيان فأغتصبها .

وقد مرّ عتبة بن ربيعة ، والعباس بن عبد المطلب ، وأبوجهل بهذه الدار الخالية الموحشة ، التي تركها أهلها ، وفرّوا بدينهم ، هجرة الى الله ، فظلت مَعلَماً شاخصاً ، ولساناً ناطقاً ، يحكي قصة الظلم والطغيان ، و يروي محنة الاستضعاف في الأرض ، وصلابة المسلم العقائدي الذي لا يلين .

فأنشد عتبة بيتاً من الشعر ، خلّد فيه ذلك الحدث التأريخي الصغير في حجمه ومساحته ، الكبير في حقيقته ومعناه .

وكُلُ دارٍ وإنْ طالَت سلامَتُها
يوماً سَتُدْرِكُها النَّكباءُ والحُوبُ

وتناهى الخبر ، خبر نهب الدار ، والاستيلاء عليها الى صاحبها ، فشكا ذلك الى رسول الله (ص) ، فقال له رسول الله (ص) :

« ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنّة ؟

قال : بلى .

قال : فذلك لك »(١) .

وحين نصر الله نبيّه ، وفتحت مكة ، عرض أبو أحمد (أخو زينب بنت جحش التي تزوجها رسول الله (ص) فيما بعد) الأمر على رسول الله ، وتكلّم معه في ارجاع الدار الى أهلها ، فأبطأ رسول الله (ص) عنه ، فقال له بعض الصحابة :

« يا أبا أحمد إنّ رسول الله (ص) يكره أن تراجعوا في شيء من أموالكم أُصيب منكم في الله عزّ وجلّ ، فأمسك عن كلام رسول الله (ص) ، وقال لأ بي سفيان :

أبلِغْ أبا سُفيانَ عن ... أمرٍ عَواقِبه نَدامَة

دار ابنِ عَمّك بِعتَها ... تَقضِي بها عَنك الغَرامَة

وحَلِيفُكم باللهِ ربّ ... الناس مُجتهد القَسامَة

إذهبْ بِها اذهبْ بها ... طُوِّقتَها طَوقَ الحَمامَة »

تشتيت شمل الأسر المسلمة :

و يسجّل لنا التأريخ صوراً مأساو ية أخرى من المحنة والأذى الذي لاقاه المهاجرون وقاساه أُولئك الأ وائل من الدعاة الى الله سبحانه ، والمجاهدين في سبيله ، والصابرين على البأساء والضراء .

سجّل لنا التأريخ ذلك ، وحدّثنا عن محنة امرأة ، هاجرت هي وزوجها الهجرتين .. هاجرت الى الحبشة ، وهاجرت الى المدينة في السابقين .

وهي أمّ سلمة ، زوج عبد الأسد بن هلال .

فكان أوّل من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله (ص) من بني مخزوم ، هو أبو سلمة (رض) ، بعد قدومه من هجرة الحبشة .. قبيل بيعة العقبة بسنة .. وعندما قرّر الهجرة ، اصطحب معه زوجته أمّ سلمة (٢) ، وأركبها بعيراً ، و بعد أن ركبت ، ووضعت ابنها (سلمة) في حجرها .. رآها رجال من عشيرتها ، وعرفوا أنّها تريد الهجرة مع زوجها ..

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (١) / ص (١٤٥) .

(٢) لقد تزوّج رسول الله (ص) أمّ سلمة بعد موت زوجها في المدينة المنوّرة .

فمنعوه من أن يأخذها معه الى المدينة ، وأخذوها منه بالقوّة .. وحين رأت رجال من عشيرة بني عبد الأسد ــ عشيرة أبي سلمة ــ أنّ أمّ سلمة أخذها قومها ، ومعها ولدها .. غضبوا ، وقالوا لهم : إنّ ولدها هو ابننا ، ولا نسمح لكم بأخذه .. فأخذوا يتنازعون على الولد ، وكلّ يجرّه اليه ، حتى خلعوا يده .. ثم أخذه أعمامه من أمّه بالقهر والقوة ..

أمّا أمّ سلمة (رض) فقد حبسها قومها ؛ لأنّها أرادت الهجرة مع زوجها ..

وهكذا تشتّت هذه الأسرة ، كما تشتت أسر كثيرة ، بسبب الظلم والاضطهاد .

قالت أمّ سلمة (رض) : « وأنطلق بي زوجي أبوسلمة الى المدينة ، ففرّق بيني ، و بين زوجي ، و بين ابني قالت :

فكنت أخرج كلّ غداة ، فأجلس بالابطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريباً منها ، حتى مرّ بي رجلٌ من بني عمّي ، أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة : ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرّقتم بينها و بين زوجها و بين ولدها ،قالت :فقالوا لي : إلحقي بزوجك إن شئت ، قالت : وردّ بنو عبد الاسد الي عند ذلك ابني ، قالت : فارتحلت بعيري ، ثم أخذت ابني ، فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ، قالت : وما معي أحد من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى اذا كنت بالتنعيم (*) لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار ، فقال لي : الى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت أريد زوجي بالمدينة ، قال : والله مالك من مَترَك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يَهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط ، أرى أنّه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم أستأخر ببعيري ، فحطّ عنه ، ثم قيّده في الشجرة ، ثم تنحّى (عنّي) الى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدّمه فرَحَّلَه ، ثم استأخر عنّي ، وقال : اركبي فاذا ركبت ، واستويت على بعيري ، أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلمّا نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بِقباء ، قال : زوجك في هذه القرية ــ وكان أبوسلمة بها نازلاً ــ فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً الى مكة .

قال : فكانت تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الاسلام أصابهم ما أصاب

(*) التنعيم : اسم منطقة تبعد عن مكّة حوالي (١١) كيلومتراً .

آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »(١) .

وهكذا يحدّثنا التأريخ ، عن صور من معاناة ، وكفاح الرّواد ، من المهاجرين في سبيل الله ، والمؤمنين برسالة الاسلام ، صبروا على الغربة ، والفقر ، والحصار ، والأذى ، والتعذيب ، ومصادرة الأموال ، وحبس النّساء والأطفال ، والتفريق بين الآباء والأزواج وذويهم ، فصنعوا بصبرهم وثباتهم أروع فصل في تأريخ الاسلام ، وثبّتوا أسس الرّسالة في النفوس ، واختطّوا الدّرب الواضح للأجيال من أبناء هذه الأمة .

كان رسول الله (ص) المهاجر الوحيد المشرّد ، يمتد أمله وتتّجه دعوته الى تحطيم أصنام الجاهلية ، في أقوى امبراطورية في عصره ، وهي امبراطورية كسرى بن هرمز ــ امبراطور الفرس ــ ، فيعد بالفتح والاستيلاء على ملك كسرى .

لقد كان رسول الله (ص) ينطق عن لسان الوحي ، و يتطلّع الى المستقبل المشرق لأمّة التوحيد ، و يزرع في نفوس أصحابه الأمل الكبير بالنصر ، رغم الضعف ، والاستضعاف الذي كانوا فيه .

وصدق رسول الله (ص) ، فقد فتح المسلمون أرض فارس ، وانتصروا عليها واستولوا على تاج كسرى ، وحليه ومقتنياته ، وممتلكات تاجه ، ولبس سراقة سواري كسرى ، وعلا في آفاق فارس نداء الاسلام ، وخمدت نيران المجوس ، فكانت فيما بعد قلعة من قلاع التوحيد ، وحصناً من حصون الاسلام .

الخلاصة

لقد لاقى المهاجرون ألوان الاضطهاد والأذى ، فقد نهبت قريش أموالهم ، واستولت على بيوتهم ، وفرّقت بين أفراد أسرهم ، وحبست كثيراً منهم ؛ لتصدّهم عن الهجرة ، والثبات على دينهم ، فلم يتراجعوا ، ولم تضعف عزائمهم .. بل تركوا الأموال والأهل والأحبّة ، وهاجروا بدينهم ، صادقين مخلصين .

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (٢) / ص (١١٢ ــ ١١٣) .

المناقشة

١ ــ وكـلُّ دارٍ وان طـالَـت سـلامـتـهـا
يـومـا سَـتـدرِكـهـا الـنَّـكـبـاءُ والـحُـوبُ

من قائل هذا البيت الشعري ، وما المناسبة ؟

٢ ــ كان للمرأة المسلمة دور عظيم في مشاركة المؤمنين المهاجرين آلامهم وصبرهم وثباتهم . أذكرِ مثالاً على ذلك .

٣ ــ قال أحمد بن جحش :

الى اللهِ وَجـهِـي والـرّسـولِ وَمَـنْ يُـقِـم
الى اللهِ يَـومَ وَجـهِـه لا يُـخـيَّـبُ

متى قال هذا الشّعر، وماذا قدّم في سبيل الاسلام ؟

٤ ــ

أ) لقد تحمّل المهاجرون صنوف الأذى والاضطهاد من المشركين .. اذكر أمثلة لذلك الأذى والاضطهاد .

ب) تحدّث باختصار عمّا عانته أُسرة أبي سلمة (رض) من المشركين ، عندما أرادت الهجرة الى المدينة المنورة .

الرسول يبشّر بدعوته بين القبائل

بعد أن يئس رسول الله (ص) من استجابة قريش ورفض أهل الطائف (ثقيف) الاستجابة لدعوته، توجّه نحو القبائل العربية الأخرى يبشّر بالدعوة الاسلامية من غير أن تضعف عزيمته أو يتراجع عن الدعوة الى الاسلام، رغم هذه المعارضة الشديدة ورغم المعاناة الطويلة، فهو صابر مجدّ بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة .. والقرآن ينزل عليه بصورة مستمرّة يثبته و يقوي عزيمته و يأمره بالدعوة والتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على أذى المشركين ..

توجّه رسول الله (ص) الى عدّة قبائل وأتّصل بها ودعاها الى الاسلام .. كان يذهب إليهم في أحيائهم ومنازلهم يبلّغ دعوة الاسلام و يدعوهم الى الهدى والصلاح و يبشّرهم بخير الدنيا والآخرة فكانوا يرفضونه ولا يتقبّلون دعوته .. وكان عمّه أبو لهب يتّبعه حيث ذهب و ينادي بين القبائل من خلف رسول الله (ص) أن محمّداً كذّاب فلا تصدّقوه ..

لقد توجّه رسول الله (ص) الى قبيلة «كندة» في منازلهم ودعاهم الى الاسلام، فرفضوا دعوته ولم يصدّقوه .. ثمّ توجّه الى قبيلة «كلب» في منازلهم ودعاهم الى الاسلام فرفضوا دعوته ولم يؤمنوا به .. ثمّ توجّه الى «بني حنيفة» الى منازلهم وعرض عليهم الاسلام فردّوا عليه ردّاً سيئاً وكذّبوه، ثمّ التقى بـ «بني عامر بن صعصعة» في موسم الحجّ ودعاهم الى الاسلام وطلب الايمان به وتصديق دعوته .. فقال له أحدهم، إنْ نحن صدّقناك ونصرناك وتمّ لك النصر، هل تجعل لنا الزعامة والقيادة من بعدك، فرفض رسول الله (ص) ذلك وقال: **«الأمر الى الله يضعه حيث يشاء»** .. فرفضوا التصديق به ونصرته وقالوا له كيف ننصرك و يكون الأمر بعدك لغيرنا .

الخلاصة

لم تضعف عزيمة الرسول (ص)، ولم يتراجع بعد أن رفضت قريش وثقيف قبول

الاسلام ، فتوجّه نحو القبائل العربية الأُخرى يدعوها الى الاسلام ، فرفضت القبائل التي دعاها جميعاً .. ولكن التقى بستّة رجال من قبيلة الخزرج في موسم الحج ، قادمين من يثرب ، فعرض عليهم الاسلام ، فآمنوا به ، وصدّقوا ، وذهبوا الى قومهم ينشرون الاسلام ، فكانت بداية انتشار الاسلام في المدينة المنورة .

المناقشة

١ ــ أُذكر أسماء بعض القبائل التي دعاها النبي (ص) ورفضت دعوته .

٢ ــ جوبهت دعوة الرسول (ص) بالرّفض في مكّة والطائف .. فما سرّ انتصار الدعوة وانتشارها رغم هذا الرّفض ؟

٣ ــ (الأمر الى الله يضعه حيث يشاء) . من تفوّه بهذا القول ، وما هي الحادثة المرتبطة به ؟

٤ ــ بدأت مرحلة جديدة للاسلام عندما آمن به وصدّق برسوله ستة رجال من قبيلة الخزرج ، وضّح ذلك بايجاز .

٥ ــ ماذا فعل الرسول (ص) .. هل كان الرسول (ص) يستفيد من موسم الحجّ لنشر دعوته المباركة .. ؟ وكيف .. ؟

الرّسول (ص) يلتقي وفد يثرب

وكـان رسـول الله (ص) يلتقي بوفود العرب وقبائلها وزعمائها التي تقصد مكّة في موسم الحج و يـدعـوهـم الى الاسلام ، وكانوا جميعاً يرفضون دعوته ، ولا يستجيبون له .. وهو صابر يدعو الى الله بجدّ وعزيمة وايمان صادق ..

وفي أحـد الأعـوام قـبـيل الهجرة بعامين تقريباً إلتقى رسول الله (ص) في موسم الحجّ عند العـقـبـة بـوفـد مـن قبيلة الخزرج .. وكان عددهم ستة رجال (١) قادمين من يثرب (المدينة المنوّرة) فـسـألهـم مـن أنـتـم فـقـالـوا : نـحن من الخزرج ، فطلب منهم أن يجلسوا ليكلّمهم فـجـلسوا .. ثم بدأ رسول الله (ص) حديثه معهم ودعاهم الى الدخول في الاسلام وتلا عليهم شيـئاً من القرآن ، فآثر كلام رسول الله (ص) وما قرأ عليهم من القرآن في نفوسهم .. ثمّ هم ربـطوا بين هـذه الدعوة و بين ما كانوا يسمعونه من اليهود .. فقد كان اليهود يهدّدونهم بأنّ نـبيّاً منهم سيخرج وسيقاتلونهم فيقتلونهم مع هذا النبي حيث كانت العداوة والصراع بينهم وهـم مـشـركـون و بين الـيـهـود وهـم أهـل كـتـاب .. فـقـد كـان الـيـهـود يجدون أوصاف الـرسـول (ص) وعـلامـات ظـهـوره في كـتـبـهـم .. وكانوا يعتقدون أنّه منهم .. لذلك كانوا يـهـدّدون أهـل يـثـرب مـن الـعـرب المشركين بظهور النبيّ .. لذا فإنّ حديث الرسول جعل بـعـضـهـم يـقـول لـبعض : « **تعلمنّ والله أنّه للنبيّ الذي توعّدكم به يهود فلا يسبقنّكم إليه** » (٢) .

فـصـدّقـوه وآمـنـوا بـه وأخـبـروه بمـا بين قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين من الكراهية والـعـداوة والحـروب ، وقـالـوا : « عسى الله أن يجمعهم بك ولنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونـعـرض عـلـيـهـم الـذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل أعزّ منك .. » (٣) .

---

(١) وقيل سبعة رجال .

(٢) الطبرسي / تأريخ الطبري / ج (٢) / ص (٨٦) .

(٣) المصدر السابق .

وهكذا بدأت الدعوة الاسلامية تنتشر خارج مكّة و بدأ الناس يدخلون في دين الاسلام .. و بهذا اللّقاء بدأت مرحلة جديدة وانتصار عظيم للاسلام .. فقد عاد هؤلاء الرجال الى المدينة وهم يحملون البشرى إلى قومهم وراحوا ينشرون الاسلام في المدينة و يذكرون لهم ما سمعوه من رسول الله (ص) .

فانتشر الاسلام هناك و بدأ الناس يؤمنون بهذا الدين العظيم لما وجدوا فيه من خير وهداية واصلاح وأساس لتوحيدهم وإزالة العداوة من بينهم ..

بيعة العقبة الأُولى :

انتشر الاسلام في يثرب انتشاراً كبيراً .. وأصبحت الدعوة الاسلامية حديث أهل يثرب وأملهم .. و بعد مرور عام على اللّقاء الأ ول أي في موسم الحج الثاني ، توجّه اثنا عشر رجلاً من عدّة قبائل من الأنصار الى مكّة المكرّمة لحضور موسم الحج وللالتقاء برسول الله (ص) وشاء الله أن يلتقوا به في (العقبة) فبايعوا رسول الله (ص) وعاهدوه .. قال عبادة بن الصامت كنت فيمن حضر العقبة الأُولى وكنّا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله (ص) على : **« ألّا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنّة ، وإن غشيتم شيئاً من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له ، وإن سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله ، إن شاء عذّبكم ، وإنْ شاء غفر لكم .. »**(١) ، فسُمّيت هذه البيعة بـ (بيعة العقبة الأُولى) .

وهكذا عاهدوا رسول الله (ص) على الايمان بالله و بنبوّة محمد (ص) و بترك الفواحش والالتزام بالمعروف ..

ولكي يترسّخ الايمان في نفوسهم وتنتشر الدعوة الاسلامية بينهم و يفهموا الاسلام فهماً صحيحاً ، أرسل معهم أحد أصحابه وهو مصعب بن عُمير ليدعوا الى الاسلام و يعلّمهم القرآن و يرشدهم الى الطريق القو يم و يفقههم بأحكام الدين .

فعادوا الى أهلهم وعاد معهم مصعب بن عمير فنزل في بيت أسعد بن زرارة .. استقرّ

---

(١) الطبري / تأريخ الطبري / ج (٢) / ص (٨٨) .

مصعب بن عمير في يثرب (المدينة المنوّرة)، وأخذ يقرئهم القرآن و يعلّمهم أحكام الإسلام .. فكان أوّل معلّم في الاسلام .. وكانوا يسمّونه «المقريء» .. بدخول مصعب الى يثرب انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً وحدث تغيير عظيم في هذه البلدة المباركة .. تغيير في العقيدة والأخلاق والسلوك والعلاقات بين الناس وفق مباديء الاسلام التي بايعوا رسول الله (ص) عليها .

وكان لدخول بعض الشخصيات الكبيرة في المدينة الى الاسلام تأثير قوي على مجتمع المدينة ، فقد دخل إثنان من زعماء المدينة الى الاسلام وهما «أُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ» .

وهكذا بدأ المجتمع الاسلامي يتكون و بدأت قوّة الاسلام تظهر في المدينة .. و بدأ المسلمون المستضعفون في مكّة يهاجرون الى المدينة كلّما اشتدّ عليهم أذى قريش وتعذيبها .. فراراً بدينهم والتحاقاً بإخوانهم الأنصار في المدينة .. و بأمر من رسول الله (ص) وتوجيه منه .. وكان الأنصار يستقبلونهم و ينزلونهم في منازلهم و يقدّمون لهم كل عون ومساعدة ..

ولمّا رأى مصعب بن عمير أنّ الإسلام قد انتشر بين الأوس والخزرج وأنّ روح الودّ والأُخوّة أخذت تنتشر بينهم بفضل الاسلام بعد أن كانوا أعداء يتقاتلون فيما بينهم .. كتب الى رسول الله (ص) كتاباً يبشّره ويخبره بذلك .

الخلاصة

بعد أن وصل من قبيلة الخزرج الرجال الستة الذين آمنوا بالرسول (ص)، بدأ الاسلام بالانتشار في يثرب ، فتوجّه في العام الثاني اثنا عشر رجلاً من المسلمين من أهل يثرب ، والتقوا برسول الله (ص) في العقبة ، و بايعوه وعاهدوه ، فأرسل معهم الرسول (ص) مصعب بن عمير ليقرئهم القرآن و يعلّمهم أحكام الاسلام ، و بذلك انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في يثرب ، وسمّيت تلك البيعة ببيعة العقبة الأولى .

المناقشة

١ ــ ما هي المبادىء الإسلامية التي بايع عليها الأنصار الاثنا عشر، رسول الله (ص) ؟

٢ ــ أ) من هو أوّل داعية الى الاسلام ، بعثه رسول الله (ص) الى المدينة المنوّرة .. ؟

ب) وهل استطاع أن ينجح في مهمّته ؟

ج) هل تحبّ أن تكون داعية الى الاسلام كمصعب بن عمير.. ؟ ولماذا .. ؟

٣ ــ من أسباب انتشار الدعوة الاسلامية في المدينة دخول بعض الشخصيات الكبيرة في الاسلام ، اذكر اسمين اثنين منهم .

٤ ــ هل غيّر الاسلام روح العداوة والكراهية ؟

٥ ــ كانت العداوة بين الأوس والخزرج قائمة قبل دخول الاسلام الى يثرب .. فماذا حصل بعد دخولهم في الاسلام .. ؟ وضّح ذلك .

بيعة العقبة الثانية

وبعد أن انتشر الاسلام في يثرب وكثر الأنصار، اتّفق جماعة منهم أن يذهبوا الى الرسول (ص) في موسم الحج، وساروا الى مكّة متخفّين مع كفّار قومهم الذاهبين الى مكة، من غير أن يشعروا أحداً بما يريدون، وكان عددهم سبعين رجلاً وامرأتين، فلمّا وصلوا مكّة اجتمعوا برسول الله (ص)، وتحدّثوا معه، وتحدّث معهم بالاسلام، وقرأ عليهم شيئاً من القرآن الكريم، ثمّ طلب منهم أن يدافعوا عنه، وعن دعوته الاسلامية، إن هو هاجر اليهم .. فوافقوا على نصرة رسول الله والدفاع عنه، وعن دعوته، بكلّ ما يستطيعون، و بايعوه على ذلك، فسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة، لأنّها وقعت في مكان يسمّى العقبة، بعد البيعة الأولى .. و بعد أحاديث دارت بينهم، قال لهم رسول الله (ص): « ... **أنتم منّي وأنا منكم، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم** »(١).

وفي هذه البيعة إختار الرسول (ص) اثني عشر شخصاً من الأنصار، وعيّنهم نقباء .. رؤساء لقومهم .. فقد قال لهم رسول الله (ص): « **اخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك كما أخذ موسى من بني اسرائيل اثني عشر نقيباً، فقالوا اختر من شئت، فأشار جبريل (ع) إليهم وحدّدهم لرسول الله (ص)، فاختار تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس** »(٢) ..

وهكذا انتهت بيعة العقبة، وانقضت على الرّغم من اكتشاف المشركين لهذا الاجتماع التأريخي الخطير، ومحاولتهم المقاومة لهذا العمل المبارك إلّا أنّ الله كفّ أيديهم، وحمى رسول الله (ص) وأصحابه منهم.

موقف قريش بعد بيعة العقبة الثانية:

عرفت قريش أنّ رسول الله (ص) قد تحالف مع الأوس والخزرج، وأنّ (يثرب) المدينة

---

(١) ابن الاثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / ص (٩٨ ــ ٩٩) / ط (١٣٨٥هـ).

(٢) الطبرسي / أعلام الورى بأعلام الهدى / ص (٦٠).

المنوّرة قد أصبحت حصناً للمسلمين ، وأنّ الدعوة الاسلامية قد وجدت لها قوّة وقاعدة ، فخافت قريش على مصالحها ، واستبدادها ، ووثنيتها ، لذلك اشتدّ أذاهم وتعذيبهم للمسلمين ، واللّجوء الى أُسلوب الحبس والمنع من الهجرة واللّحاق بالمدينة ، بعد أن أمرهم رسول الله (ص) بذلك ، وبعد أن بدأوا يهاجرون فراراً بدينهم ، أفراداً وجماعات .. تاركين بيوتهم وأموالهم .. وكانت قريش تسيطر على بعض تلك البيوت .. إلّا أنّ ذلك لم يحل دون الهجرة ، وتجمّع المسلمين في المدينة ، وتكون المجتمع الاسلامي فيها ..

وحين رأت قريش أنّ الدعوة الاسلامية بدأت تنتقل الى مرحلة جديدة من القوّة والانتشار والتأييد ، اجتمعت في دُار النّدوة ، وأخذوا يتداولون في كيفية مقاومة الرسول الكريم (ص) ، والدعوة الاسلامية العظيمة .. فقال بعضهم : (نحبسه) .. وقال بعضهم : (نخرجه من مكّة وننفيه لنبعده عن أرضنا) .. وقال آخرون : (لا ، بل نقلته) ..

وأخيراً اتّفقوا على قتل الرسول (ص) بأن يختاروا عدداً من غلمانهم .. من كلّ عشيرة رجلاً فيضربون محمّداً (ص) بأسيافهم ضربة واحدة لتشترك كلّ القبائل بدمه ، ولا تستطيع بنوهاشم أن تطالب به .. وحين اتّخذوا قراراً بذلك ، واتّفقوا على قتل الرسول (ص) ، هبط عليه جبريل (ع) وأخبره بمؤامرة قريش ، وقد تحدّث القرآن عن هذه المؤامرة بقوله :

« وإذ يمكر بك الّذين كفروا ليثبتوك (*) أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ..

(الأنفال/٣٠)

وحين علم الرسول (ص) بذلك ، قرّر الخروج الى المدينة ، ليواصل دعوته هناك ، و يبني المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية المباركة .. وهكذا بدأ الرسول (ص) بالاستعداد للهجرة ، وهاجر الى المدينة في أوائل ربيّع الأول ، بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة النبوية ، وترك الامام عليّاً (ع) نائماً في فراشه حتى إذا رآه الذين يراقبون بيت الرسول (ص) ، ظنّوا أنّ الرسول (ص) موجود ، غير خارج من مكّة ، فلا يخرجون لطلبه ، فكان أوّل فدائي للرسول (ص) وللاسلام ، وليردّ الأمانات التي كانت عند الرسول (ص) الى أهلها .. وأوصاه أن يتوجّه الى المدينة المنوّرة ، هو والفواطم ؛ ليلحق برسول الله (ص) ، فأنزل الله آية

(*) ليثبتوك : ليحبسوك .

يمدح فيها مبيت الامام علي(ع) على فراش الرسول(ص) ، وهي :

« وَمِنَ الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » ..

واصطحب النبي(ص) معه أبا بكر في سفره ، وتوجّه الى المدينة ، فوصلها ، واستقر فيها .. وهناك واصل دعوته وجهاده حتى نصره الله .

الرسول في المدينة :

لقد علم المسلمون في المدينة أنّ رسول الله(ص) قد توجّه اليهم ، فراحوا يرقبون طريقه لعدّة أيّام ، وهم بانتظار وصوله المبارك .. وحين تأخر الرسول(ص) بسبب اختفاءه في الغار ثلاثة أيّام ، خافوا عليه ، وسيطر عليهم الحزن ..

لقد كانوا يخرجون بعد صلاة الصبح ، و يقفون على مداخل يثرب ، حتى تغلبهم الشمس والحرّ ، فيعودوا الى بيوتهم .

وفي يوم من أيّام الانتظار ، وقفوا كعادتهم ينتظرون مقدم الرسول الكريم(ص) ، ولكنهم لم يروه ، فعادوا الى بيوتهم ، و بينما هم كذلك رأى أحد اليهود شخصين غريبين ، فنادى في المسلمين ، قد جاء الشخص الذي تنتظرونه .. فركض الأنصار مسرعين ، فرأوا رسول الله(ص) جالساً في ظلّ نخلة ، وكان ذلك اليوم هويوم الاثنين ، الثاني عشر من شهر ربيع الأول كما في بعض الروايات .. فازدحموا عليه ، يحيون و يرحّبون ، و يتسابقون لاستضافته ، والتبرّك بالنظر إليه .. فاختار النزول ضيفاً على كلثوم بن هدم ، من بني عمرو بن عوف ، فطلب منه في منطقة قريبة من المدينة تسمّى (قباء) أبوبكر أن يدخلا المدينة المنوّرة ، فرفض الرسول(ص) الذهاب من (قبا) حتى يأتي علي بن أبي طالب ، ومعه أُمّ أيمن ، والفواطم اللّواتي هاجر بهنّ ، وهنّ : (فاطمة بنت رسول الله ، وفاطمة بنت أسد ، أمّ علي بن أبي طالب ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وفاطمة بنت حمزة) .

فبقي الرسول(ص) في (قباء) ، وتوجّه أبوبكر الى المدينة فدخلها . وحين قدم علي ومعه النساء ، في اليوم الخامس عشر من ربيع الأول .. فاحتضنه رسول الله(ص) و بكى رحمةً به لِمَا شاهد عليه من آثار التّعب والارهاق ، حتى تفطّرت قدماه ، فقد كان يسير ليلاً ، ويختفي نهاراً . فتفل الرسول بيده ، ومرّها على قدميه ، فشفيتا بإذن الله .

الرسول(ص) يؤسس مسجد قبا :

وحين إقامة الرسول في (قباء) أسس مسجد (قباء) بناء على اقتراح من عمّار بن ياسر، فهو أوّل مسجد أُسّس في الاسلام، وصلّى فيه الجمعة، كما يروي بعض المؤرخين، فكانت هذه أوّل صلاة جمعة، صلاّها رسول الله(ص).

الرسول(ص) يدخل المدينة :

وبعد أن أقام الرسول(ص) خمسة عشر يوماً في (قباء)، ركب ناقته، وتوجّه الى المدينة يوم الجمعة، وعندما دخل المدينة تنافس الأنصار فيما بينهم لاستضافة الرسول(ص)، فكان كلّما مرّ بحيّ من أحياء الأنصار، فطلبوا منه أن ينزل عندهم، فكان يقول لهم : **«خلّوا سبيل الناقة فانّها مأمورة»** ..

وكان رسول الله(ص) قد ترك ناقته، وهو راكب على ظهرها لتسير بحريّة، وتقف في المكان المقدّر من الله سبحانه .. وحين وصلت الناقة الى مكان المسجد النبوي حالياً، بركت هناك، بالقرب من باب أبي أيوب الأنصاري .. وكان من فقراء المدينة .. فنزل رسول الله(ص)، ضيفاً على أبي أيوب الأنصاري، وبقي في ضيافته حتى اكتمل بناء المسجد، مسجده الشريف، ومنازله المطهّرة.

بناء مسجد المدينة :

وبعد أن استقرّ الرسول(ص) في المدينة المنوّرة ــ في بيت أبي أيوب الأنصاري ــ كان أوّل عمل قام به هو تأسيس مسجده الشريف .. ليكون مركزاً للاجتماع، والتعاون، والأُلفة والمحبّة، ومقرّاً لقيادته، وللقضاء بين الناس، وادارة شؤون الدولة الاسلامية التي أسّسها(ص)، ومكاناً للوعظ والارشاد وتعليم القرآن، وأحكام الاسلام؛ ليتمكّن الرسول(ص) من تربية أصحابه، وتعليمهم، وإعدادهم.

لقد أُسس هذا المسجد الخالد في المكان الذي بركت فيه ناقة الرسول(ص) .. وكان هذا المكان مربداً ــ أي محلاً يجمع فيه التمر ــ، فاشتراه النبي(ص) بعشرة دنانير، وقيل

وُهِب له ، وفي بناء هذا المسجد تجسّد التعاون ، والايثار ، وحبّ الخير ، في الجميع ، وكان الرّسول (ص) أوّل من حمل الحجر لبناء هذا المسجد وشارك ببنائه .. فاشترك المهاجرون والانصار بالبناء .. وبني من الطين ، وجذوع النخل ، والسعف .

و بنى الرسول (ص) مساكنه ، ومساكن أصحابه حول المسجد .. وكانت لهذه المساكن أبواب مفتوحة على المسجد .. فأمر النبي (ص) بعد مدّة بسدّ أبواب الصحابة جميعها ، إلّا باب الامام علي بن أبي طالب (ع) ، فقد تركه مفتوحاً على المسجد ، فضيلة له وكرامة ، ولم تزل مواضع المساكن التي كان الرسول (ص) يسكنها حول المسجد قائمة حتى الآن ، يزورها الناس ، و يتبرّكون بها .. وقد بنيت فيما بعد من الطابوق ، وعليها أبواب من قضبان الحديد . و بعد مدّة من الزمن ، وسّع الرسول (ص) مسجده ، و بناه مرّة أخرى .

فكان طول المسجد في البناء الأوّل سبعين ذراعاً ، وعرضه ستين ذراعاً ، وعندما وسّعه الرسول (ص) ، جعل طوله مائة ذراع ، وعرضه مائة ذراع أيضاً .

وهكذا ثَبتَ هذا المسجد العظيم الذي ما زال محطاً للأنظار والقلوب المؤمنة .

المؤاخـاة :

ومـن الأعـمـال المـهـمة التي قام بها الرسول (ص) عند قدومه المدينة هو (المؤاخاة) بين المـهـاجرين والأنصار، و بهذا العمل الكريم ثبّت قواعد الأخوّة والمحبّة والتعاون في المجتمع الاسـلامـي .. كـمـا كـان قد آخـى بين المسـلـمين مـن قـبـل في مكّة المكرّمة .. فقد جعل الـرسـول (ص) عـلاقة الأخوّة بين كل اثنين .. وآخى النبيّ بين نفسه ، و بين الامام علي بن أبـي طـالـب (ع) ، فـقـد روي : « **لـمّـا آخى رسول الله ـ ص ـ بين أصحابه فقال علي : يـا رسـول الله : آخـيـت بين أصـحابك ، ولم تؤآخي بيني ، وبين أحد ، فقال : والذي بـعـثـنـي بـالحقّ نبيّاً ، ما أخّرتك إلاّ لنفسي ، فأنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلاّ أنّه لا نـبـي بـعـدي ، وأنـت أخـي ، ووارثـي ، وأنـت مـعـي في قـصـري في الجنّة مع ابنتي فاطمة ، وأنت أخي ورفيقي ، ثم تلا : « إخواناً على سرر متقابلين »** » (١) ..

وهـكـذا وضـع الـرسـول الـكـريـم محمد (ص) أسس البناء الاجتماعي على أسس قو يّة مـتـيـنـة ، وكـتـب صحيفة بين المسلمين ، بيّن فيها مبادىء الأخوّة ، والتعاون ، والولاء بين المؤمنين ، ليعرف كلّ مسلم واجبه ، ومسؤوليته ، تجاه المجتمع الاسلامي .

---

(١) الحافظ سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي / ينابيع المودّة / ط (٨) / ص (٥٦ ـــ ٥٧) .

أهم الاعمال التي قام بها الرسول(ص) في بداية دخوله المدينة :

إنّ أهم الأعمال التي قام بها الرسول(ص) عند دخوله المدينة ؛ لتكوين المجتمع الاسلامي ، ولنشر الدعوة الاسلامية ، في بداية هجرته ، هي :

١ ــ تأسيس مسجد (قبا) .

٢ ــ تأسيس مسجد المدينة .

٣ ــ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وبينه وبين الامام علي بن أبي طالب ، وكتابته صحيفة للمجتمع الاسلامي في المدينة ، بيّن فيها كيفية الأخوّة ، والتعاون ، والعلاقات بينهم ، وبين غيرهم ، فكانت دستوراً ، ووثيقة لتنظيم الحياة الاجتماعية بين المسلمين ، وتقويتها .

٤ ــ تأسيس الدولة الاسلامية .

٥ ــ كتب اتفاقاً بينه وبين اليهود ، الذين كانوا في المدينة وحولها ، بعدم الاعتداء أو الخيانة للمسلمين ، وبالتعاون في حالة الحرب ، فخالف اليهود هذا العهد ، وغدروا بالمسلمين ، كعادتهم ، فاضطرّ رسول الله (ص) لمحاربتهم ، والدفاع عن الاسلام ، واخراجهم من المدينة .

٦ ــ شكّل السّرايا العسكرية ، وعيّن قياداتها ، وعقد لها الألوية للجهاد ، وقام بالتصدي للمشركين ومقاتلتهم ، بعد أن يئس من استجابتهم للحقّ ، وعدم كفّهم عن محاربة الاسلام والمسلمين .

الخلاصة

بعد أن استمرّ الرسول الكريم محمد (ص) يدعو الناس في مكة ثلاثة عشر عاماً ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبالحوار العقلي ، والبرهاني القوي ، ولكنّهم رفضوا تصديق نبوّته ، وأصرّوا على كفرهم بقيادة الطواغيت والمستكبرين أمثال أبي لهب ، وأبي جهل ، وأبي سفيان ، والوليد بن المغيرة .. فاستعملوا مختلف الأساليب لمحاربة الدعوة الاسلامية ،

من اتّهام الرّسول (ص) بالجنون ، وتكذيبه ، والاستهزاء به ، وتعذيب أصحابه ، وقتلهم ، وفرض الحصار والمقاطعة عليه وعلى أصحابه وأعمامه الذين آمنوا به ، ثم قرّروا قتله أو حبسه ، فأوحى الله إليه بما قرّروا ، وأمره أن يهاجر الى المدينة ، بعد أن أصبح له فيها أنصار ، مستعدّون للدّفاع عنه ، وعن الاسلام .. فهاجر في بداية شهر ربيع الأول الى المدينة المنوّرة .. فاستقبله أهلها فرحين مسرورين ، فاستطاع الرسول الكريم (ص) أن يكوّن المجتمع الاسلامي ، والدولة الاسلامية ، وبنشر الدعوة الاسلامية ، و يكوّن جيشاً من المجاهدين ، قضى به على الشّرك والطواغيت ، وأعداء الله والانسان .

المناقشة

١ ــ أكمل ما يأتي : هاجر رسول الله (ص) بعد أن قرّر المشركون .... وبات في فراشه .... وصاحبه في سفره .... واكتشفه في الطريق .... وحدثت المعجزة بأن غارت أرجل .... وكانت هجرته في شهر .... بعد .... عشر عاماً من بعثته المباركة .

٢ ــ لماذا رفض الرسول (ص) الدخول الى المدينة مباشرة ، وبقي ثلاثة أيام في قبا ؟

٣ ــ أ) أذكر أثر المؤاخاة في بناء المجتمع الاسلامي .

ب) أكمل ما يأتي : إنّ أوّل عمل قام به الرسول (ص) بعد دخوله المدينة هو بناء .... وقد شارك هو ....

ج) وضّح أهميّة المسجد في المجتمع الاسلامي .

معركة بَدر

قد عرفنا من خلال سيرة الرسول (ص) أنّ الدّعوة الاسلامية في مكّة كانت دعوة فكرية .. لم يستعمل المسلمون السلاح ، ولا القتال ، ولم يأمرهم الله بذلك .. بل كان الرسول (ص) يدعو الناس بالموعظة والتعليم و بيان العقيدة والأخلاق والأحكام الاسلامية .. و بعد الهجرة الى المدينة أذن الله للمسلمين بالقتال لعدّة أسباب :

١ ــ للدّفاع عن أنفسهم .

٢ ــ للقضاء على قوّة الطواغيت الّذين يمنعون النّاس من الايمان بالله ، والعيش تحت راية الايمان ، و يتسلّطون عليهم بالقهر والظلم والاستعباد .

٣ ــ لنشر الاسلام في مختلف أنحاء الأرض ، إذا لم يستجب الكافرون الى دعوة الهدى .

لذا فانّ من أولى أعمال الرّسول (ص) في المدينة بعد دخولها بعدّة شهور ، شكّل الرسول (ص) الكتائب العسكرية ، وعقد الألوية للقادة المجاهدين ، ثم بدأ التعرّض لقوافل قريش .. فكانت أوّل معركة وقعت بين المشركين والمسلمين ، هي معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة النبويّة .. ففي شهر رمضان من تلك السنة ، علم المسلمون بخروج قافلة تجارية ، متوجّهة من الشّام الى مكّة يقودها أبوسفيان زعيم المشركين ، وقائدهم ، فأمر الرسول (ص) أصحابه أن يقطعوا الطريق على القافلة ، و يستولوا عليها ، و يأخذوا ما فيها من أموال و بضائع ؛ لتضعف قوّة المشركين ، و يقوى المسلمين عليهم .. فخرج عدد المسلمين مع رسول الله (ص) لقطع الطريق على القافلة .. إلّا أنّ أبا سفيان علم بخطّة المسلمين ، فأرسل رسولاً الى المشركين في مكّة ، وطلب منهم النّجدة ، وحماية القافلة .. فاجتمع مشركو مكّة ، وكوّنوا جيشاً مؤلّفاً من عدد يقارب الألف مقاتل ، وتوجّهوا نحو المدينة ؛ للدّفاع عن القافلة ، إلّا أنّ أبا سفيان استطاع الهرب ، والافلات من المسلمين ، والحفاظ على تجارته ..

وحين وصلت قريش الى المكان الذي يقيم فيه المسلمون ، بالقرب من بئر ماء يسمّى

(بدر) على بعد (١٦٠) كم من المدينة المنوّرة ، قرّروا مقاتلة المسلمين ، ورفضوا العودة الى مكّة دون قتال ؛ بسبب غرورهم وكبريائهم ..

فوقعت المعركة في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك ، في السنة الثانية من الهجرة ، في ذلك المكان المسمّى (بدر) ، وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وستين مقاتلاً ، فأيّد الله نبيّه ، وأنزل عدداً من الملائكة لنصرة النّبي (ص) وأصحابه ، فنصر الله جنده ، وأيّد نبيّه ، وخسر المشركون المعركة ، رغم كثرة عددهم وسلاحهم وعدّتهم .. فقد كان عددهم يقارب الألف مقاتل .. ولديهم سبعون فرساً ، وسبعمائة بعير، فقتل المسلمون سبعين رجلاً من المشركين ، وأسروا سبعين آخرين ، وقتل في هذه المعركة عدد من سادة المشركين وأبطالهم .. وفقد المسلمون أربعة عشر شهيداً فقط ، ستّة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ..

وكان الامام علي (ع) وحمزة بن عبد المطّلب ، هما أبطال هذه المعركة ، فقد قتل الامام علي (ع) بسيفه ستة وثلاثين رجلاً من السبعين قتيلاً ، عدا من أعان على قتلهم من أبطال المشركين وشجعانهم ..

واستمرّت هذه المعركة نصف نهار تقريباً ، ثم فرّت قريش ، وكسر الله غرورها وكبرياءها ، وعادت مكّة تحمل الذّلّ والمهانة ..

وصلّى رسول الله (ص) في بدر صلاة العصر ، ثم عاد الى المدينة ، هو وأصحابه يحمل الغنائم والأسرى ..

وكان لهذا النّصر العظيم ، تأثير كبير على انتشار الاسلام وقوّته ، وتحقيق الهيبة والعزّة للمسلمين ، فأخذت بعض القبائل ترسل وفودها الى النّبي (ص) ، وتدخل في الاسلام ، وانتشر خبر النّصر العظيم في الجزيرة العربية كلّها .

الخلاصة

أذنَ الله للمسلمين بالقتال ، من بعد ما ظُلِموا ، وأُخرجوا من ديارهم .. فكانت معركة

بدر أوّل معركة خاضها المسلمون ضدّ الشّرك والطُغيان ..

وقعت هذه المعركة ، في السنة الثانية من الهجرة ، في اليوم السابع عشر من شهر رمضان .. وكان عدد المسلمين حوالي ثلا ثمائة وستّين رجلاً ، وعدد المشركين حوالي ألف رجل .. وقد أرسل الله الملائكة لنصرة المسلمين ، فتحقّق لهم النّصر ؛ بسبب ايمانهم ، واخلاصهم ، وحكمة قيادة الرّسول (ص) ، وانهزم المشركون ، وقويت الدعوة الاسلامية ، وتحقّقت العزّة للاسلام .

المناقشة

١ ــ وضّح لماذا أمر الرسول (ص) أصحابه بالهجوم على قافلة أبي سفيان التجارية .. ؟

٢ ــ أذكر الأسباب التي من أجلها أذن الله للمسلمين بالقتال ؟

٣ ــ

أ) من هو أبرز أبطال المسلمين في معركة بدر ؟

ب) ما سرّ النصر الذي حققه المسلمون في معركة بدر، رغم قلّة عددهم وعدّتهم .. ؟

ج) هل أثّر النّصر الذي حققه المسلمون في معركة بدر على انتشار الدعوة الاسلامية .. ؟ وضّح ذلك .. ؟

غزوة بني قَينُقاع

عرفنا أنّ اليهود كانوا يجاورون المسلمين في مناطقهم ، في المدينة المنوّرة ، وكانوا مصدر الخطر ، والتجسس ، والتآمر ، والنفاق على رسول الله (ص) والمسلمين ، والدعوة الاسلامية .. وبعد انتصار المسلمين في معركة بدر على المشركين ، ظهر الحقد والحسد في نفوسهم ، وخافوا من انتصار الاسلام ، ونقضوا العهد الذي اتفقوا عليه مع رسول الله (ص) عند قدومه المدينة .. وعندما علم الرسول (ص) بذلك ، توجه الى سوق بني قينقاع (١) ، واجتمع بهم في سوقهم ، ودعاهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وذكّرهم كيف نصر الله المسلمين على قوّة قريش وكبريائها في معركة بدر ، وقال لهم : « **احذروا ما نزل بقريش وأسلموا ، فانكم قد عرفتم انّي نبيّ مرسل** » (٢) .

فردّوا عليه ردّاً سيّئاً ، وقالوا : « **يا محمد لا يغرنّك أنّك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة** » (٣) .

وبموقفهم هذا نقضوا العهد الذي عاهدوا الرسول (ص) عليه ، وهو عدم التآمر على المسلمين ، وعدم إعانة أحد عليهم ، وترك الحرب بينهم ..

وبينما هم مستمرّون على رفضهم لدعوة الرسول (ص) وطلبه ، إذ جاءت امرأة مسلمة الى سوق بني قينقاع ، فجلست عند صائغ لأجل حُليٍّ لها .. وفي هذه الأثناء استغفلها أحد اليهود ، فوضع ذيل ثوبها على ظهرها ، فلمّا قامت المرأة انكسفت عورتها ، فاستهزأ اليهود بها ، وضحكوا .. فأثار هذا الاعتداء الخبيث غَيرة أحد المسلمين وشهامته ، فهاجم اليهودي ، وقتله ..

وحين تأزّم الموقف بينهم وبين المسلمين ، أعلنوا إلغاء المعاهدة بينهم وبين رسول الله (ص) ، وتحصّنوا في حصونهم .. فلمّا رأى رسول الله (ص) موقفهم المعادي ، ونقضهم

---

(١) بنو قينقاع : قبيلة يهودية ، كانت تعيش على مقربة من المسلمين في المدينة يشتغلون بالصياغة .

(٢) ابن الاثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / ص (١٣٧) .

(٣) المصدر السابق .

للعهد ، قام باعلان الحرب عليهم ، وهاجم قريتهم ، وحاصرها خمس عشرة ليلة ، ثم خضعوا لقوة المسلمين ، فقبض عليهم الرسول ، وكتّفوا ، وأراد قتلهم ، فتدخّل زعيم المنافقين عبد الله بـن أُبـي بـن سَلول ، وطلب من رسول الله (ص) أن يعفو عنهم ؛ لأنّهم حلفاؤه في الجاهلية ، فرفض رسول الله (ص) طلبه ، ولم يكلّمه ، ثمّ ألحّ على الرسول (ص) ، وهدّد بالفتنة .. فلمّا رأى الرسول (ص) ذلك ، قال لأصحابه : « **خلّوهم لعنهم الله ، ولعنه معهم** » ، فأُخرجوا من المدينة ، واستقرّوا في منطقة تسمّى « أذرُعات » من أرض الشام .

وغنم المسلمون أموالهمْ ، ووزّعت بين المقاتلين .. لقد وقعت هذه الغزوة في شوّال في السّنة الثانية من الهجرة (١) ، ثمّ عاد رسول الله (ص) الى المدينة المنوّرة .. في تلك السّنة (في عد الأضحى) صلّى رسول الله (ص) في المسلمين صلاة العيد ، فكانت أوّل صلاة عيد صلاّها رسول الله (ص) ، وضحّى شاتين (أو شاة) .. وضحّى بعض المسلمين معه .. وكان أوّل من ضحّى رآه المسلمون ..

وبهذه الغزوة بدأ الصراع العسكري بين المسلمين واليهود .. وبدأ النّصر يتحقّق للمسلمين عليهم .

المناقشة

١ ــ لماذا أعلن رسول الله (ص) الحرب على بني قينقاع ؟

٢ ــ المنافقون حلفاء اليهود في كل زمان .. أُذكر موقفاً لأحد المنافقين يوضّح هذا التعاون .

٣ ــ

أ) كيف كان أثر انتصار المسلمين في معركة بدر على يهود بني قينقاع ؟

ب) أكمل ما يأتي : قال الرسول (ص) لبني قينقاع بعد معركة بدر : (احذروا من الله ....) .

---

(١) وقيل أنها وقعت في صفر ، في السنة الثالثة من الهجرة .

معركة أُحد

شعرت قريش بعد معركة بدر بالذل والمهانة بين العرب ، وأحسّت بقوة الاسلام وانتشاره ، فجمعت رجالها وأبطالها ، بعد سنة من معركة بدر ، وقرّرت أن تهجم على المسلمين في المدينة المنوّرة ، طلباً للثأر ، ولأجل القضاء على الاسلام والمسلمين .. واستعانوا بالمال الذي قَدِم به أبوسفيان في قافلته ، التي اُفلتت من المسلمين يوم بدر ، وقالوا : **« لا تنفقوا منه شيئاً ، إلّا في حرب محمد »** ، وقد علم العبّاس عمّ الرسول بنيّة قريش وقرارها ، فكتب من مكّة الى الرسول (ص) كتاباً يخبره بأنّ قريشاً تريد الهجوم على المدينة ، فتسلّم الرسول (ص) الرسالة ، وأخبر بها أصحابه .. وكان رسول الله قد رأى في منامه : **« أنّ في سيفه ثلمة ، وأن بعيراً يذبح له ، وأنه أدخل يده في درع حصينة »** (١) ، ففسر ذلك الحلم : أن نفراً من أصحابه سيقتل ، وأنّ رجلاً من أهل بيته سيصاب ، وأنّ الدرع الحصين هو المدينة ..

الرسول (ص) يشاور أصحابه :

وقد شاور رسول الله (ص) أصحابه ، فاتّفقوا على مقاتلة المشركين ، وكان رسول الله (ص) يريد أن يكون القتال في المدينة ــ بعد الرؤيا التي رآها في المنام ــ فيقاتل المشركين في مداخل الطرق والسكك ، وترمي النساء والشيوخ والصبيان الحجارة والنيران من فوق البيوت ، فيتفرّق جيش الأعداء ، وانهزم أمام المسلمين . فعارض كثير من الصحابة رأي رسول الله (ص) ، وقالوا نخرج الى خارج المدينة ، ونقاتلهم هناك ، ولا نجعل مدينتنا ساحة للحرب .. فلبس رسول الله (ص) لباس الحرب ، وخرج مع أصحابه .. ثمّ ندم أصحابه ، وطلبوا منه العودة الى المدينة ، والمقاتلة في داخلها ، كما أراد هو (ص) ، فرفض الرسولُ (ص) وقال : **« لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لامَته فيضعها حتى يقاتل »** (٢) .

---

(١) وقد صدقت رؤيا رسول الله (ص) فيما بعد ، فقد قتل نفر من أصحابه ، وقتل عمّه حمزة ، وخسر المسلمون المعركة ، عندما خرجوا من المدينة ، والتقوا جيش المشركين خارجها / تاريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٤٧) .

(٢) الكامل في التأريخ / ج (٢) / ص (١٥٠) .

وكان عدد أصحابه في بداية الخروج من المدينة حوالي ألف مقاتل، وأعطى راية المهاجرين وقيادتهم، للامام علي (ع)، وراية الأنصار وقيادتهم، لِسَعد بن عُبادة، وكان عدد المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وقائدهم أبوسفيان..

وبعد ما خرج المسلمون من المدينة، تحرك المنافقون وفي مقدمتهم عبد الله بن أبي بن سلول والمندسون في جيش رسول الله (ص)، فانسحبوا من الجيش (١)، فرجع ثلاثمائة منافق، وبقي مع رسول الله (ص) سبعمائة مقاتل..

أحداث المعركة:

وبدأت المعركة، والتقى الفريقان عند جبيل (أحد)، ووضع رسول الله (ص) خمسين من أصحابه عند رأس الشعب، وهم الرّماة، الّذين يرمون العدو بالسّهام، ويحمون ظهور المسلمين لئلاّ يهجم عليهم العدو من خلفهم، وأوصاهم بعدم ترك مواضعهم بأيّ حال من الأحوال.. فلمّا بدأ القتال، واشتدّت المعركة، انتصر المسلمون على المشركين، ورأى الرّماة انتصار المسلمين، وأنّ المسلمين بدأوا بأخذ الغنائم، عندئذ ترك الرّماة مواضعهم، وذهبوا لأخذ الغنائم، إلاّ أنّ قائدهم لم يترك موضعه، وقال لهم: إنّ رسول الله (ص) أمرنا أن نبقى في هذا الموضع، ولا نتركه أبداً، فبقي في موضعه حتى استشهد.. فلمّا رأى المشركون ترك الرّماة لمواضعهم، ولم يبق من يحمي جيش المسلمين من هذا المكان، اندفعوا بقيادة خالد بن الوليد، وهاجموا المسلمين من خلفهم، فانكسر جيش المسلمين، ولم يبق غير رسول الله (ص)، وبعض أصحابه، كالامام علي (ع) وحمزة ومصعب بن عمير.. وأخذ رسول الله (ص) ومن معه يقاتلون، فجرح رسول الله (ص) في ساقه ووجهه.. وقتل عمّه حمزة بن عبد المطّلب.. فقد ضربه شخص اسمه (وحشي) بحربة في صدره، فقتله، وقد مثّل بحمزة، فقطعوا أنفه وأذنيه، وشقّ بطنه، وأخرج كبده، فأخذته هند، زوجة أبوسفيان، فلاكته في فمها، حقداً وكراهية.. وتألّم رسول الله (ص) كثيراً ممّا حدث في هذه المعركة..

لقد كان سبب خسارة المسلمين لهذه المعركة، هوعدم طاعتهم لأوامر الرسول

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام / ج (٣) / ص (٦٨).

الـكريم (ص) ، فلو لم يخالفوا رسول الله (ص) ، وقاتلوا المشركين في المدينة ، لانتصروا ، ولو لم يخالف الرّماة أوامر رسول الله (ص) لانتصروا .

المسلمون يعاودون الهجوم على المشركين :

وبعد هذه الخسارة ، وانكسار المسلمين ، أمر الله سبحانه المسلمين في اليوم الثاني أن يخرجوا لحرب قريش ، مع ما بهم من جُراحات وآلام ، لئلاّ يطمع المشركون بهم ، ويستهينوا بقوّتهم فيتجرّأوا عليهم ، فاستجابوا لأمره ، وقدَّم رسول الله (ص) الامام علياً (ع) ، فأعطاه راية المهاجرين ، فحملها بقوّة وشجاعة ، حتى وصلوا الى منطقة تسمّى (حَمراء الأسد) ، يريدون قتال المشركين ، وليوضّحوا للنّاس أنّهم أقوياء ، قادرون على مهاجمة العدو .. إلاّ أنّ أبا سفيان وجيشه قد رجع الى مكّة .. فرجع رسول الله (ص) وأصحابه الى المدينة ..

وهكذا انتهت معركة أُحد ، التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة في شهر شوّال ، بعد معركة بدر بسنة واحدة تقريباً .

الخلاصة

وقعت معركة أحد في السنة الثالثة من الهجرة ، عندما أراد المشركون الهجوم على المدينة ، لاسترداد هيبتهم التي حطّمها المسلمون يوم بَدر .. فخرج المسلمون اليهم ، والتقوا معهم عند جبل أحد ، وهناك دارت حوادث المعركة ، فانتصر المسلمون في البداية ، ولكنّهم خسروا المعركة ، عندما خالف الرّماة أوامر الرسول (ص) ، وتركوا أماكنهم ، وانشغل المقاتلون بالغنائم ..

وفيها قُتل (أسد الله) حمزة عمّ الرّسول (ص) ، وجرح الرّسول (ص) ، ثم عاد المشركون الى مكة ..

وفي اليوم الثاني ، أمر الله نبيه (ص) أن يجمع المقاتلين ، و يطارد المشركين ؛ لئلا يحققوا الانتصار عليهم .. فجمع الرسول (ص) المقاتلين ، وتبع أبا سفيان وجيشه ، الاّ أنّه لم يلتق بهم ، وعاد المسلمون الى المدينة .

المناقشة

١ ــ
أ) وضّح سبب هزيمة المسلمين في معركة أحد ؟
ب) ما هي الموعظة التي نستفيدها من معركة أحد ؟

٢ ــ
أ) من الذي بدأ الهجوم في معركة أحد .. ؟ ولماذا .. ؟
ب) استشهد في معركة أحد بطل اسلامي فَذ ، فمن هو هذا البطل .. ؟ ومن الذي قتله .. ؟ وماذا فعل المشركون به بعد قتله .. ؟

٣ ــ لماذا أمر الله سبحانه نبيه الكريم (ص) في اليوم الثاني بعد أحد أن يدعو المسلمين لقتال المشركين ؟

جَلاءُ بَني النَّضِير[1](*)

من يدرس تأريخ اليهود، وتعاملهم مع رسول الله (ص)، ومع المسلمين، يجد أنَّ تأريخهم، كان تأريخ عداء وتآمر على الاسلام والمسلمين.. وواضح من تأريخهم، أن من طباع اليهود نقض العهد، والغدر والخيانة.. ومن تلك المواقف الغادرة تآمرهم على رسول الله (ص)، ومحاولتهم قتله، والقضاء عليه.. لقد حدثت تلك المؤامرة، عندما توجّه رسول الله (ص) الى بني النضير، في بداية السنة الثالثة للهجرة، ودخل بلدتهم، وجلس الى جنب جدار؛ ليكلّمهم بالمشاركة ــ وفق الاتّفاق معهم ــ ديّة شخصين، كان المشركون يطالبون المسلمين بها.. فتظاهر اليهود بالاستجابة وقالوا: **«نعينك على ما تحب»**..

ثم خلا بعضهم الى بعض، وتآمروا فيما بينهم على قتل رسول الله (ص)، واتفقوا على أن يصعد أحدهم، ويلقي عليه صخرة كبيرة فيقتله.. وعندما علم أحد زعمائهم، وهو سلام بن مشكم، قال لهم: **«لا تفعلوا، فان محمداً يعلم ما تفعلون»**.. فأصروا على تنفيذ مؤامرتهم، ولم يستجيبوا لقول صاحبهم، فصعد أحدهم ليلقي الصخرة على رسول الله (ص)، فأخبر الله نبيه (ص) بذلك، فقام الرسول (ص)، وقال لأصحابه: **«لا تبرحوا حتى آتيكم»**.. ثم خرج الى المدينة، وبقي أصحابه ينتظرونه، فلمّا أبطأ عليهم، ذهبوا يبحثون عنه، فلمّا رأوه أخبرهم بمؤامرة اليهود، ودعا المسلمين للجهاد، فاجتمعوا، وساروا اليهم بعد العصر، وطلب من اليهود أن يخرجوا من ديارهم وأموالهم، ويتركوها للمسلمين.

فعلم زعيم المنافقين، عبد الله بن أبي بن سَلول، وجماعة معه بارادة رسول الله (ص)، فاتصلوا ببني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا، وقاوموا محمداً وأصحابه، ونحن معكم، ان أخرجوكم من دياركم، فسنخرج معكم، وان قاتلوكم، فسنقاتل معكم، وعندما رفضوا طلب رسول الله (ص) توجّه اليهم بأصحابه، وحمل راية المسلمين علي بن أبي طالب (ع)

(*) يعود أصل بني النضير الى قبيلة جذام العربية، فهم عرب اعتنقوا اليهودية، ونزلوا بجبل يسمّى (النضير)، فسمّوا بذلك الاسم.

(1) ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (2) / أحداث السنة الرابعة.

فحاصرهم رسول الله (ص)، وقاتلهم، وقتل جماعة منهم، ولم ينصرهم المنافقون .. فلمّا رأوا عجزهم عن مواجهة رسول الله (ص)، طلبوا منه الصلح، فتعامل معهم بعفوه المعهود، وصالحهم، على أن يتركوا ما يملكون من سلاح وذهب وفضة وأراضي وممتلكات للمسلمين، ولهم ما حملت الابل من متاع .. فرضوا بذلك، وخرجوا من ديارهم الى بلاد الشام، جزاء تآمرهم وغدرهم، ومقابلتهم لاحسان رسول الله (ص) بالاساءة .. وغنم المسلمون أرضهم وديارهم، وفرّق رسول الله (ص) الغنائم على المهاجرين وحدهم؛ لأنّهم كانوا فقراء، لا يملكون شيئاً، عدا شخصين من الأنصار كانا قد شكيا الفقر الى رسول الله (ص)، فأعطاهما من الغنائم .. وفي هذه الغزوة حرّم الله الخمر على المسلمين ..

إنّ هذه الغزوة، وقعت في السنة الرابعة من الهجرة، فكانت نصراً وقوّة للمسلمين.

المناقشة

١ ــ عُرف اليهود بالغدر والخيانة .. تحدّث عن غدر بني النضير بالرسول (ص) ومحاولتهم اغتياله ..

٢ ــ

أ) أكمل ما يأتي : قال سلام بن مشكم أحد زعماء اليهود لقومه عندما أرادوا قتل الرسول (ص) : «لا تفعلوا، فان ....» ..

ب) كيف علم الرسول (ص) بمؤامرة بني النضير .. ؟

٣ ــ تحدّث عن النهاية التي لقيها بنو النضير على أيدي المسلمين.

معركة الخَندق

بعد أن حقّق المسلمون انتصارات عظيمة على المشركين واليهود ، وانتشرت الدعوة الاسلامية في الجزيرة العربية ، بدأ التعاون بين اليهود والمشركين ، ضدّ رسول الله (ص) ، وأصحابه ، ودعوته الاسلامية ، واتّفق اليهود والمشركون على حرب رسول الله (ص) .. فجمع المشركون جيشاً يتكوّن من عشرة آلاف مقاتل ، وتوجّهوا نحو المدينة بقيادة أبي سفيان ، لمهاجمتها ، والقضاء على الرسول (ص) ، وأصحابه ، ودولته الاسلامية ، والدعوة الاسلامية .. وعندما علم الرسول (ص) ، وأصحابه بهذا الهجوم .. شاور أصحابه ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق ، حول المدينة ؛ لمنع المشركين من دخولها ، فوافقه الرسول (ص) على ذلك ، وحفر المسلمون الخندق .. وكان رسول الله (ص) يشاركهم في حفر هذا الخندق ، وعندما بدأوا بحفر الخندق أخذ الأنصار والمهاجرون يتنافسون على سلمان ، فكل يقول سلمان منّا ، فقال لهم رسول الله (ص) : **« سلمان منّا أهل البيت »** ..

وعندما جاء المشركون ، فوجئوا بالخندق ، ولم يستطيعوا عبوره ، فنزل جيشهم في الجانب الثاني من الخندق ، وظلّوا عدّة أيّام لا يستطيعون عبوره ، والهجوم على المسلمين .. إلّا أنّ خمسة من فرسانهم استطاعوا عبور الخندق ، من مكان ضيّق الى جهة المسلمين ، وكان أشجعهم بطل المشركين (عمرو بن عبد ود) قد طلب من المسلمين البراز والقتال ، فلم يتقدّم أحد لمبارزته غير الامام علي (ع) .. فاستأذن الامام علي (ع) رسول الله (ص) بالقتال ، فأذن له ، فبارز عمراً ، وشاء الله أن ينتصر الامام علي (ع) على عمرو بن عبد ود فقتله ، وكبّر علي (ع) ، وكبّر المسلمون ، فرحاً بالنّصر ، وفرّ الأربعة الباقون من أصحاب عمرو .. وعندما رأى رسول الله (ص) الامام علياً ظاهراً منتصراً قال :

« لمبارزة علي بن أبي طالب لعمروبن عبد ود أفضل من عمل أمتي الى يوم القيامة » (١) .

ثـمّ أرسـل الله الـريح عـليهم ، فهبّت عاصفة على جيش المشركين ، وقلعت خيامهم ، واكـفـأت قدور الطعام ، وشتّت الجيش ، فعادوا هاربين مهزومين .. وحقّق الله النّصر لنبيه بـسيـف علي (ع) ، وبـهـبـوب الريح المدمّرة عليهم ، وبخطّة سلمان العسكرية العظيمة .. وسـمّـيـت هـذه المـعـركـة بمعركة (الخندق) ؛ لأنّ المسلمين حفروا خندقاً لحماية مدينتهم ، وسـمّـيـت مـعـركـة الأحـزاب أيـضـاً ؛ لأنّ أحـزاب الـكـفر والضلال ، اجتمعت من قبائل العرب ، وتأييد اليهود ، بقيادة أبي سفيان ، لحرب رسول الله (ص) ..

وكـان عدد المقاتلين المسلمين في هذه المعركة هو سبعمائة مقاتل ، وقد وقعت المعركة في شهر شوّال في السنة الخامسة من الهجرة النّبويّة ..

وهكذا انهزم جيش الشرك ، وقَوى معسكر الايمان ، وانتصر المسلمون .

المناقشة

١ ــ ثـلاثـة عـوامـل سـاعـدت على انـتـصـار المـسـلـمين في مـعـركـة الخندق .. أُذكرها باختصار .

٢ ــ بـأيّـة مـنـاسـبة قال رسول الله (ص) ــ يوم الخندق ــ : « **برز الايمان كلّه للشّرك كلّه** » .. ؟ وما معنى هذا القول .. ؟

٣ ــ

أ) مع من تحالفت قريش في معركة الخندق ضدّ رسول الله (ص) .. ؟

ب) من هو قائد المشركين في هذه المعركة .. ؟ وفي أيّ عام وقعت .. ؟

٤ ــ

أ) أكـمـل مـا يـأتـي : قـال رسـول الله (ص) في سـلمان الفارسي عندما كان المسلمون

---

(١) مستدرك الصحيحين / ج (٣) / ص (٣٢) عن سفيان الثوري ، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد / (٣) / ص (١٩) .

ب) ماذا نفهم من قول رسول الله (ص) الآنف الذكر لسلمان .. ؟ وضّح ذلك باختصار.

يحفرون الخندق : « سلمان .... » .

غزوة بني قُرَيظة(١)

بنو قريظة قبيلة من قبائل اليهود .. وكانوا على مقربة من المسلمين في المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله (ص) عهد بالصلح ، فخالفوا هذا العهد ، وخانوا رسول الله (ص) ، وتحالفوا سرّاً مع قريش في معركة الأحزاب (الخندق) ضدّ المسلمين .. وحين نصر الله نبيّه في معركة الأحزاب انصرف منها صباحاً ، وعاد الى المدينة ، وهبط عليه جبريل (ع) ظهر ذلك اليوم ، وقال له : « **إنّ الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة** » ، فأمر رسول الله (ص) أحد أصحابه أن ينادي في المسلمين : « **من كان سامعاً ، مطيعاً ، فلا يصلّين العصر ، إلّا ببني قُريظة** » ..

وأمر الامام علياً (ع) أن يحمل راية الجهاد ، و يتقدّم بها نحو بني قريظة .. وأخذ المسلمون يلتحقون بجيش رسول الله (ص) ، فتوجّه نحوهم ، ونزل في بلدتهم ، فحاصرهم مدّة خمس وعشرين ليلة ، فلمّا يئسوا من قدرتهم على مقاومة المسلمين ، خضعوا لحكم رسول الله (ص) .. فجعل رسول الله (ص) سعد بن معاذ أحد الصحابة البارزين حكماً .. فحكم سعد بن معاذ بقتل المقاتلين من اليهود ، و بأخذ المسلمين أموالهم وأبناءهم ونساءهم .. فقال له رسول الله (ص) : « **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة**(٢) » .

فنفّذ رسول الله (ص) حكم سعد في اليهود ، وتخلّص المسلمون من هذه الفئة المتآمرة مع المشركين والمنافقين ..

وكانت هذه الغزوة قد وقعت في السنة الخامسة من الهجرة ، بعد عودة رسول الله (ص) من معركة الخندق .

---

(١) يراجع ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / أحداث السنة الخامسة .

(٢) الأرقعة : جمع رقيع ، وهي السماوات .

المناقشة

١ ــ وضّح كيف كان موقف بني قريظة في معركة الأحزاب .. هل وفوا بعهدهم لرسول الله (ص) أم خانوه .. ؟

٢ ــ بأمر مَن حارب رسول الله (ص) بني قريظة .. ؟

٣ ــ اشرح المصير العادل الذي واجه بني قريظة في هذه المعركة ..

صُلح الحُدَيبيَّة

بعد أن حقق رسول الله (ص) انتصارات عظيمة على مشركي مكة وعلى اليهود قرّر أن يزور الكعبة و يؤدّي العُمرة .. فتوجّه نحو مكة في أواخر السنة السادسة من الهجرة هو ومعه عدد من المسلمين (١) .. وساق معه سبعين من الابل ليذبحها هدياً ، وقد حملوا معهم السلاح .. فوصل خبر قدوم رسول الله (ص) الى قريش ، فجمعت جيشاً وتوجّهت نحو المنطقة التي يسير فيها الرسول (ص) ومن معه ، وكان رسول الله (ص) قد رأى (٢) في المنام رؤياً : أنّه دخل الكعبة ، وأخذ مفتاحها ، وحلق رأسه .. و بينما كان الرسول (ص) في الطريق متوجّهاً لزيارة الكعبة لقيه رجل ، فقال له : يا رسول الله أنّ قريشاً قد أجتمعوا لحربك ، ومنعك من دخول مكة ، فغيّر الرسول (ص) طريقه . وسار حتى وصل مكاناً يسمّى : (الحُديبية) فنزل الرسول (ص) هناك ، ونزل أصحابه .

معجزة نبوته :

وعندما نزل النبي (ص) وأصحابه في منطقة الحديبية ، قالوا يا رسول الله : ما بالوادي ماء ، فأعطى الرسول أحد أصحابه سهماً ، وأمره أن ينزل الى بئر ، كان بالقرب منهم ، وأن يغرزه في جوف البئر ، فأخذ الرجل السهم ، وغرزه في جوف البئر ، فانفجر الماء غزيراً ، فشَرب الناس وارتووا .

التفاوض مع قريش :

و بينما كان الرسول (ص) في وادي الحديبية جاءه رجل من قبيلة خزاعة ، وكانوا ممّن يحب الرسول (ص) و ينصح له ، فأخبر الرسول (ص) بتحرّك قريش ، واصرارها على قتاله ،

(١) اختلف الرواة في تحديد عدد الناس الذين صاحبوا رسول الله (ص) في هذه العمرة ، فقال بعضهم الألف وأربعمائة ، وقال بعضهم أكثر من ذلك .

(٢) تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (٥٤) .

ومنعه من دخول مكة ، فقال له الرسول محمد (ص) : إنّا لم نأت لقتال أحد ، ولكن جئنا لأداء (١) العُمرة ، وإن شاؤوا أن نجعل بيننا و بينهم اتفاقية محدودة الزمن اتفقنا معهم ، على أن يتركوني أبلّغ رسالات الله للناس الآخرين ، أمّا اذا رفضوا ذلك ، فسأقاتلهم ، حتى أُحقق النصر لدين الله .

فذهب هذا الرجل الخزاعي ، وأخبرهم بما قاله رسول الله (ص) ، ثم استمرت قريش ترسل أشخاصاً للتفاهم مع النبي (ص) .

بيعة الرضوان :

و بعث النبي (ص) عثمان بن عفّان (رض) الى مكّة ؛ ليتفاهم معهم ، فحبسوا عثمان ، وشاع خبر بأن المشركين قتلوه ، فتأذّى رسول الله (ص) ، أن تقتل قريش الشخص الذي يفاوضهم نيابة عن المسلمين ، فغضب رسول الله (ص) ، وقال لا نتركهم حتى نقاتلهم .. فدعا الرسول (ص) أصحابه الى بيعته على القتال ، فاجتمعوا ، و بايعوه ، وهو جالس تحت الشجرة ، وهي (سَمُرة) فسمّيت هذه البيعة ببيعة الرضوان .

ولمّا رأت قريش امكانية الصلح مع رسول الله (ص) ، أرسلت اليه أحد رجالها ، وهو سهيل بن عمرو ؛ ليفاوض رسول الله (ص) ، و يوقّع معه معاهدة صلح .. فلمّا قدم على رسول الله (ص) ، و بدأ الحوار بينهما ، واتّفقا على الصّلح .. أمر رسول الله (ص) الامام عليّاً أن يكتب معاهدة الصلح (٢) .. واتّفق رسول الله (ص) مع المشركين على عدّة أمور كانت نتائجها لصالح الاسلام والمسلمين .. وكانت الأُمور التي اتّفق عليها رسول الله (ص) مع المشركين هي :

---

(١) هذا مضمون قول الرسول الكريم محمد (ص) .

(٢) قال له اكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سُهيل : لا نعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللّهمّ ، فكتبها ، ثم قال رسول الله لعلي اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سُهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو نعلم أنّك رسول الله لم نقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال الرسول لعلي : أمح رسول الله ، فقال لا أمحوك أبداً ، فأخذ رسول الله الكتاب ومحا كلمة رسول الله .. ثم قال لعلي : لتبلَيَنّ بمثلها » ، اخباراً بالغيب وبما وقع لعلي مع معاوية بن أبي سفيان فيما بعد من أمور التحكيم في صفّين ، ومحو اسم علي من خلافة المسلمين وخلعه لصالح معاوية » . / ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / ذكر عمرة الحديبية .

١ ــ إيقاف الحرب بين المسلمين والمشركين لمدّة عشرة سنين .

٢ ــ من أتى من المشركين بغير إذن يردّه رسول الله الى المشركين ، ومن جاء الى قريش من المسلمين لم يردّوه .

٣ ــ من أحبّ من الناس أن يتحالف مع قريش ، فهو حرّ في ذلك .. ومن أحبّ من الناس أن يتحالف مع رسول الله (ص) فهو حرّ في ذلك ؛ وليس لأحد أن يمنعه .

٤ ــ أن يرجع رسول الله (ص) وأصحابه في ذلك العام الى المدينة ، ولا يدخل مكّة .. على أن يدخلها في العام القادم ، و يؤدّي مناسك العمرة .

نتائج الصلح :

تأذى بعض المسلمين من هذه المعاهدة ؛ لأنّهم لم يكونوا يعرفوا الحكمة النبويّة ، والمصلحة الخفيّة في ذلك الصّلح .. فجعله الله فتحاً عظيماً لهم .. لأنّ النّاس أمنوا من شرّ قريش وحربها ، فأقبلوا على الاسلام ، وآمنوا برسول الله (ص) بشكل لم يسبق له مثيل حتى دخل في الاسلام خلال السنتين الواقعتين بين توقيع الصلح ، و بين مخالفة قريش لمعاهدة الصلح ، أكثر من الذين دخلوا في الاسلام خلال مدّة الدعوة الاسلامية التي سبقتها .. ثمّ أنّ رسول الله (ص) ذبح هدية خارج مكة ، وحلق رأسه ، وأمر أصحابه أن يفعلوا مثله ، وعاد الى المدينة المنوّرة ..

وكان من نتائج هذا الصلح أن تحالفت قبيلة خزاعة مع رسول الله (ص) ، وتحالفت قبيلة (بكر بن وائل) مع قريش .. فاعتدت قبيلة بكر بن وائل على خزاعة حليفة رسول الله (ص) وأعانتها قريش على العدوان .. فخالفت بهذا الاعتداء معاهدة الصّلح فطلبت قبيلة خزاعة من الرسول (ص) أن ينصرها لأنّه كان حليفاً لها .. فاستجاب لها رسول الله (ص) ، وجمع جيشاً عظيماً ، وتوجّه الى مكّة في شهر رمضان في السنة الثامنة من الهجرة ، ففتحها من غير قتال ، وخضع له أهلها ، فدخلوا في الاسلام ..

وهكذا حقّق صلح الحديبية نتائج كبيرة ومفيدة للاسلام والمسلمين .

الخلاصة

بعد أن تحقق النصر للرسول (ص) على المشركين واليهود في معارك عديدة .. قرّر أن يزور الكعبة المشرّفة ، و يؤدّي العُمرة في السنة السادسة من الهجرة .. فعلمت قريش بقدوم رسول الله (ص) ، فجمعت جيشاً ، ومنعته من الدّخول في مكّة ..

فتفاوض رسول الله (ص) معهم ، وأخبرهم بأنّه لا يريد القتال ، إنّما يريد أداء العُمرة ..

وفي الحُديبيّة بايع المسلمون رسول الله (ص) بيعة الرّضوان على قتال المشركين ..

ثمّ اتّفقت قريش مع رسول الله (ص) على أن يعود الى المدينة في تلك السّنة ، و يأتي في السنة القادمة فيدخل مكّة .. كما اتّفقت معه على قضايا أُخرى ..

ساعد صلح الحديبية على انتشار الاسلام ، وكان السّبب في فتح مكّة ؛ لأنّ قريشاً خالفت العهد ، واعتدت على حلفاء الرسول (ص) ، فجهّز جيشاً ، وفتح مكّة من غير قتال .

المناقشة

١ ـــ رأى رسول الله (ص) رؤية في منامه ، فما تلك الرؤية .. ؟ ومتى تحقّقت .. ؟

٢ ـــ في أي موقع بايع المسلمون بيعة الرّضوان .. ؟ وعلى أي شيء بايعوه .. ؟

٣ ـــ كان لصلح الحديبية فوائد للاسلام والمسلمين .. اذكر اثنين منها ..

٤ ـــ ما هي شروط صلح الحديبية ، اذكرها بايجاز .. ؟

معركة خيبر

قد عرفنا أنّ اليهود كانوا يجاورون المسلمين في المدينة ، وكانوا يتعاونون مع المنافقين والمشركين ، ضدّ رسول الله (ص) ، وأصحابه ، ودعوته الاسلامية ، وانّ رسول الله (ص) حاربهم ثلاث مرّات ، في بني النضير ، وبني قريظة ، وبني قينقاع ، للتخلّص من مؤامراتهم ..

وقد عرفنا أنّ اليهود ، قد حرّضوا المشركين على قتال المسلمين ، ودفعوهم الى الهجوم على المدينة في معركة الخندق أو (معركة الأحزاب) في السّنة الخامسة من الهجرة .. فأراد رسول الله (ص) أن يتخلّص من شرّهم ، ومكائدهم ، وتجسّسهم ضدّ الاسلام والمسلمين ، فقرّر في شهر محرّم من السنة السابعة للهجرة ، أن يهاجم قراهم المحصّنة ، فتوجّه نحوها ، وكان عددها ستّ قرى ، وفيها عشرون ألف مقاتل ..

ثم نزلوا بالقرب منها ، وبدأت المعركة ، وفتح المسلمون هذه القرى ، عدا قرية خيبر ، التي حاصرها رسول الله (ص) وجيشه ، ثمّ أعطى الراية الى أبي بكر (رض) وطلب منه أن يفتح الحصن ، فلم يتمكّن من فتحه ، فعاد الى رسول الله (ص) ، ثم أعلى الراية عمر بن الخطّاب (رض) وأمره أن يفتح الحصن ، فحاول عمر (رض) ، فلم يتمكّن من فتحه ، فعاد الى رسول الله (ص) .. فلمّا رأى رسول الله (ص) العجز عن فتح حصن خيبر ، قال (ص) : **«لأعطين الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرّار»** (١) ..

فكان المسلمون ينتظرون ليعرفوا ، من هو هذا البطل العظيم ، الذي يفتح الله على يديه .. ؟ بعد ذلك دعا رسول الله (ص) الامام علياً (ع) ، وهو أرمد ، فتفل في عينيه ، فشفي باذن الله ، ثم قال له : **« خذ هذه الرّاية ، فامض بها ، حتى يفتح الله عليك »** (٢) .

وروى البخاري **« قال : إنّ رسول الله (ص) قال : لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله كلّهم يرجو أن يُعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ، فقالوا : يشتكي**

---

(١) و (٢) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (٣) / ص (٣٤٩) / ط بيروت ــ دار احياء التراث العربي .

عينيه يا رسول الله ؟ قال : فارسلوا إليه فاتوني به ، فلمّا جاء بصق في عينيه ودعا له ، فبرأ حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثمّ أُدعهم الى الاسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم » (١) .

فحمل علي (ع) الراية ، وتقدّم نحو الحصن .. فخرج له أحد ابطال اليهود وهو (مرحب) ، فبارزه الامام علي (ع) فقتله ، ثم اقتلع الامام علي (ع) باب الحصن ، وهجم على اليهود في داخل الحصن ، وهجم معه المسلمون ، فانكسرت مقاومة اليهود ، وحقّق الله النصر على يديه ..

وهكذا دمّر الله مؤامرات اليهود ، وانتهت قوّتهم العسكرية .

المناقشة

١ ــ

أ) أكمل قول الرسول (ص) يوم خيبر : (لأعطينّ الرّاية ....) .

ب) الى من أعطى الراية رسول الله (ص) يوم خيبر .. ؟ وماذا كانت نتيجة المعركة . ؟

٢ ــ

أ) كم كان عدد اليهود في هذه المعركة . ؟

ب) في أيّ سنة وقعت معركة خيبر .؟

---

(١) البخاري / صحيح البخاري / ج (٥) / (٢٢) / ط بيروت ــ دار احياء التراث العربي .

غزوة مؤتـة

قد عرفنا أنَ المسلمين عندما كانوا مستضعفين في مكّة ، هاجروا الى الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب (رض) ، و بقوا هناك عدّة سنوات ، وقد رجع جعفر بن أبي طالب (رض) الى المدينة المنوّرة ، في السنة السابعة من الهجرة ، فقدم على الرسول الكريم (ص) يوم فتح خيبر ، ففرح رسول الله (ص) بقدومه فرحاً عظيماً ، وقبّل ما بين عينيه ، ثمّ قال : **« والله ما أدري بأيّهم أشدّ سروراً ، بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر »** (١) ..

وفي تلك الفترة إزداد خطر الرّوم في بلاد الشام على الدولة الاسلامية التي أسّسها رسول الله (ص) في المدينة المنوّرة ، حيث توجد دولة الرّوم .. وكان الرّوم يتبعون الدّيانة النصرانية ، فصارت دولتهم تشكّل خطراً على الدّعوة الاسلامية ، فخشي الرسول (ص) من خطرهم هذا على الاسلام ، وقرّر أن يغزوهم قبل أن يبدأوا هم بغزو المسلمين ؛ ليحطّم الطواغيت الحاكمين المستبدّين في بلاد الشام ، و يقضي على خطرهم ، و يفسح المجال أمام الناس ان يؤمنوا بدين الاسلام ، و يتحرّروا من لمرة طواغيت الرّوم .. فجهّز في شهر جمادي الأولى من السنة الثامنة من الهجرة جيشاً من أصحابه ، مكوّناً من ثلاثة آلاف مقاتل ، وعيّن له ثلاثة قوّاد بشكل ترتيبي ، وهم زيد بن حارثة (رض) ، وجعفر بن أبي طالب (رض) ، وعبد الله بن رواحة (رض) .. وأمرهم أن يقود الجيش في المعركة زيد بن حارثة (رض) ، فان قتل فيتولى القيادة من بعده جعفر بن أبي طالب (رض) ، فان قتل فيتولّى القيادة من بعده عبد الله بن رواحة (رض) ..

وودّعهم رسول الله (ص) ، وسار الجيش متوجّهاً لقتال الرّوم .. وحين وصلوا الى (معانا) في بلاد الشام ، سمعوا أنّ هرقل ملك الرّوم ، قد توجّه لمحاربتهم ، ومعه مائتا ألف مقاتل (٢٠٠،٠٠٠) من الرّوم والعرب الموالين له ، والمعادين للاسلام ، فلمّا سمع المقاتلون المسلمون بهذه الأخبار ، ظلّوا في تلك المنطقة يومين ، يفكّرون في كيفية القتال ، وهم قليلون

---

(١) ابن الاثير / الكامل في التاريخ لابن الاثير / ج (٢/٢٣٤) .

جدّاً، بعددهم وسلاحهم، بالنّسبة الى عدوّهم .. فقال بعضهم نكتب رسالة الى رسول الله (ص)، ونخبره بكثرة جيش العدو، وننتظر أمره، فشجّعهم أحد قادتهم، وهو عبد الله بن رواحة، وقال لهم: **«يا قوم، والله للّذي تكرهون، خرجتم تطلبون الشّهادة، وما نقاتل النّاس بعدد، ولا قوّة، ولا نقاتلهم إلاّ بهذا الدّين، فانطلقوا، فما هي إلاّ إحدى الحسنيين (*) »** ..

فقال له أصحابه: صدق والله، فتحرّك جيش المسلمين نحو الرّوم، ووقعت المعركة بين الجيشين في قرية تسمّى (مؤتة)، لذلك سمّيت (غزوة مؤتة).

واشتدّ القتال بين الجيشين، وصبر المسلمون مع قلّة عددهم وقوّاتهم، فاستشهد زيد بن حارثة (رض)، فأخذ اللّواء جعفر بن أبي طالب (رض)، وقاتل حتى قطعت يداه (*)، ووقعت في جسمه أكثر من ثمانين ضربة ورمية وطعنة، فاستشهد، وعند استشهاده حمل اللّواء من بعده عبد الله بن رواحة (رض)، وقاتل جيش الرّوم حتى استشهد .. فأخبر جبريل (ع) رسول الله (ص) بالمدينة، فما حدث للمسلمين في معركة (مؤتة)، فجمع الرسول (ص) المسلمين، وأخبرهم بما حدث، وقال لهم: **« لقد رفعوا الى الجنّة ــ يعني الشهداء الثلاثة ــ على سرر من ذهب ... »** ..

ثم أخذ اللّواء من بعد عبد الله بن رواحة خالد بن الوليد، وقام بعملية انسحاب، وتخلّص، وعادوا الى بلادهم.

الرسول (ص) يعزّي زوجة جعفر (رض):

ثم أنّ رسول الله (ص) ذهب الى بيت جعفر بن أبي طالب (رض)؛ ليخبر زوجته أسماء بنت عميس بخبر استشهاده، فلمّا رأى أولاد حعفر (رض) احتضنهم، وشمّهم، ومسح رؤوسهم، ودمعت عيناه، فقالت أسماء لرسول الله (ص): بأبي أنت وأمّي لِمَ تفعل بولدي، كما تفعل بالأيتام؟ لعلّه بلغك عن جعفر شيء ..؟ فغلبته العَبرة، وقال: رحم

(*) احدى الحسنيين: يعني النصر أو الشّهادة.

(*) حمل جعفر بن أبي طالب (رض) اللّواء بيمينه، فقطعت، فحمله بشماله، فقطعت، فاحتضنه بعضديه، حتى استشهد، وكان له من العمر ثلاث وثلاثون سنة، فأعطاه الله جناحين في الجنّة يطير بهما حيث يشاء.

الله جعفراً ، فصاحت أسماء : واو يلاه ! واسيّداه ! فقال (ص) : لا تدعي بو يل ولا بحرب وكل ما قلت فانت صادقة ، فصاحت : واجعفراه ! ..

وسمعت صوتها فاطمة الزّهراء (ع) بنت رسول الله (ص) ، فجاءت وهي تصيح : وا ابن عمّاه ! فخرج رسول الله (ص) يجرّ رداءه ، ويملك عبرته (*) ، وهو يقول : « **على جعفر فلتبك البواكي** » ، ثمّ قال لابنته : « **يا فاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً ، فانّهم في شغل ، فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام فصارت سُنّة في بني هاشم** » (١) .

وهكذا نتعلّم من هذه المعركة الدّروس والعبر في الشجاعة والصبر والاستهانة بالأعداء ، مهما كثر عددهم ، وقوّتهم .. فإنّ هذه المعركة وإن لم يحقّق فيها المسلمون النّصر ، إلّا أنّها كانت بداية لنصر حقّقه الرسول (ص) في غزوة أُخرى ضدّ الرّوم ، اسمها (غزوة تبوك) بعد سنة من هذه المعركة .

الخلاصة

كانت للرّوم دولة قويّة في بلاد الشام .. وكانت تشكّل خطراً على الدولة الاسلامية في المدينة ، كما تشكّل خطراً على انتشار الدعوة الاسلامية في أرجاء العالم .. لذلك قرّر رسول الله (ص) أن يغزوهم ، في السنة الثامنة من الهجرة ، قبل أن يهاجموا المسلمين .. فأرسل جيشاً مكوّناً من ثلاثة آلاف مقاتل ، وعيّن له ثلاثة قادة ، هم : زيد بن حارثة (رض) ، وجعفر بن أبي طالب (رض) ، وعبد الله بن رواحة (رض) .. فهاجم المسلمون جيش الرّوم ، المكوّن من مائتي ألف مقاتل .. ووقعت المعركة في قرية (مؤتة) .. فاستشهد القادة الثلاثة ، وكانت هذه المعركة تعبّر عن قوة الايمان والشجاعة ، نظراً لقلّة المسلمين ، وكثرة عدد الرّوم .. ومنها نتعلّم الدروس والعبر في الجهاد والشجاعة ، وطلب الشهادة في سبيل الله تعالى .

(*) ما يملك عبرته : يبكي .

(١) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / غزوة مؤتة .

المناقشة

١ ــ أكمل قول الرسول (ص) يوم استقبل جعفر (ع) في معركة خيبر: « والله ما أدري .... ».

٢ ــ عرفت الفارق بين قوّة المسلمين، وقوّة الرّوم في العدد والعدّة .. ومع ذلك لم يتراجع المسلمون، ونفّذوا أوامر رسول الله (ص)، وهاجموا عدوّهم، واستشهد القادة، فماذا نتعلّم من هذه المعركة .. ؟

٣ ــ

أ) قال رسول الله (ص): « **على جعفر فلتبك البواكي** » .. فماذا يعني هذا القول .. ؟

ب) قال عبد الله بن رواحة لأصحابه: « **... وما نقاتل الناس بعدد ولا قوّة، ولا نقاتلهم إلّا بهذا الدّين، فانطلقوا، فما هي إلّا احدى الحسنيين** » .. اشرح هذا القول بايجاز.

فتح مكة

تقديم :

إنَّ مكّة المكرمة هي البلد الذي ولد فيه محمد(ص) ، ونزل عليه الوحي فيه ، و بقي فيه ثلاثة عشر عاماً ، وكان(ص) ينشر الدعوة الاسلامية ، بصورة سرّية ، لمدة ثلاثة أعوام ، وعلنية لمدة عشرة أعوام أخرى ، فواجهه أهل مكة بالعناد والعصبية ، ولم يؤمن بنبوة محمد(ص) إلّا القليل منهم .

وقد آذوا النبي(ص) وأصحابه ، وعذّبوهم ، وقتلوا منهم سُميّة وعمّاراً ، وحرّضوا الناس عليه ، وحاولوا قتله ، فهاجر هو وأصحابه الى المدينة المنورة .. وكانت مكّة تحتل مكانة عظيمة ومقدّسة في نفوس العرب ؛ لوجود الكعبة فيها .. وقد كانت قريش تسيطر عليها ، وهي من أقوى قبائل العرب ، وأعزّها مكانة واحتراماً في نفوسهم ..

وحين هاجر الرسول(ص) جعل المشركون وحلفاؤهم اليهود مكّة قاعدة ومركزاً لتجمّع القوى المعادية للاسلام ، وللتآمر على المسلمين ، وشنّ الحروب والمعارك ضدّهم ، كمعركة أُحد التي وقعت في السنة الثالثة للهجرة ، ومعركة الخندق (الأحزاب) التي وقعت في السنة السادسة للهجرة ، فكان فتح مكة أمراً ضرورياً للقضاء على قوّة الشرك ، والتخلّص من المؤامرات التي يدبّرها المشركون واليهود ضدّ الاسلام ونبيّه الكريم محمد(ص) ؛ ولتحرير الكعبة المقدّسة وتطهيرها من الأصنام والأوثان ، وجعلها بيتاً للعبادة ، وتوحيد الله سبحانه ، كما أرادها الله ، والقضاء على طواغيت قريش وسلطتها التي تمنع الناس من الايمان بالاسلام ، وتحول دون انتشار الدعوة الاسلامية بين القبائل العربية (١) .

كيف فتحت مكة المكرّمة :

بعد توقيع صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة بين الرسول(ص) و بين

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير : (٢/٢٣٩) وتأريخ اليعقوبي : (٢/٥٨) والطبرسي في اعلام الورى ص (١١٢).

المشركين، التي اتّفقوا في أحد موادها على اعطاء الحقّ لكلّ طرف منهما في أن يكوّن حلفاً مع أية قبيلة يشاء.. فتحالفت قبيلة خزاعة مع رسول الله(ص) وتحالفت قبيلة كنانة مع المشركين.. وقد اعتدت كنانة على خزاعة بعد ذلك، فأعانت قريش حلفاءها (كنانة)، فانتصر رسول الله(ص) لخزاعة؛ لأن قريشاً خالفت معاهدة الصلح الموقعة بينه وبينها، لمدة عشر سنوات، فقرّر أن يهاجم قريشاً في مكة، ويقضي على الشرك والجاهلية والعدوان.. فجمع جيشاً عظيماً يقدّر بعشرة آلاف مقاتل، وتوجّه بصورة سرّية نحو مكة؛ لئلاّ تتهيّأ قريش للقتال، وكان مسيره في شهر رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، وأمر المسلمين أن يفطروا وشرب هو(ص) الماء، وسمّى الّذين لم يفطروا بالعصاة؛ لأنّهم مسافرون، فنزل جيشه حول مكّة، ثمّ أشعل الجيش النيران ليلاً في المناطق التي كان ينزل فيها حول مكّة، وكان أبوسفيان ومعه صاحباه حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، قد خرجوا يتجسّسون الأخبار، فرأوا النار العظيمة التي تدلّ على كثرة الجيش، فخاف أبوسفيان، زعيم الشّرك والوثنيّة، على نفسه وسلطته، فأخذ يسأل صاحبه عن هذه النيران والجيش العظيم، فسمع العبّاس، عمّ النبي(ص) صوته، فناداه، فقال أبوسفيان للعبّاس(رض) ما هذا الجَمع يا أبا الفضل، فقال العبّاس: (هذا رسول الله).. فاذهب اليه، وخذ الأمان منه، فوافق أبوسفيان على ذلك مرغماً.. فأخذه العبّاس، وطلب له الأمان من رسول الله(ص)، فعفا الرسول(ص) بحلمه وعفوه عنه.. وأمره أن يتشهّد الشّهادتين.. فامتنع أبوسفيان أن يشهد نبوّة محمد(ص)، فقال له العبّاس، ستقتل يا أبا سفيان، فخاف من القتل، وأقرّ بالشّهادتين.

جيش المسلمين يدخل مكّة:

وبعد ذلك أمر الرسول(ص) عمّه العبّاس أن يأخذ أبا سفيان ويقف على الطريق الّذي يمرّ منه جيش المسلمين ليرهبه.. فلمّا رآه أبوسفيان، أحسّ بعظمة المسلمين وقوّتهم.. فقال للعبّاس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال له العبّاس: ويحك إنّها النّبوّة..

ثم أمر رسول الله(ص) حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء صاحبي أبي سفيان بعد أن أسلما أن يدخلا مكّة قبل دخول المسلمين، ويدعوان أهل مكّة الى الاسلام، وينادیان:

« من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم فهو آمن ، ومن أغلق بابه ولم يقاتل فهو آمن ... » ..

ثمّ أمر رسول الله (ص) الجيش أن يدخل مكّة من غير قتال (١) ، فنادى سعد بن عبادة ، من الانصار ، وهو أحد قادة الجيش الاسلامي : **« اليوم ، يوم الملحمة ، اليوم ، تسبى الحرمة »** (٢) .. وعندما علم رسول الله (ص) بهتاف سعد ، أمر الامام عليّاً (ع) أن يأخذ منه الرّاية ، و يدخل مكّة برفق ، و بدون قتال ..

و بعد دخول مكّة ، وقف رسول الله (ص) بباب الكعبة ، وخطب في الناس ، وقال في خطبته : **« لا اله إلّا الله ، وحده وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .. »** ، ثم عفا عن أهل مكّة ، وقال لهم : **« اذهبوا فأنتم الطّلقاء »** .. وحطّم الأصنام التي كانت في الكعبة ، وكان عددها ثلاثمائة وستين صنماً ، فدخل النّاس في الاسلام أفواجاً ، أفواجاً ، وحقّق الله النّصر للمسلمين بصبرهم وجهادهم ..

ولم يبق الرسول (ص) في مكّة إلّا أيّاماً ، ثمّ ذهب الى الطائف ، وفتحها ، ثم عاد بعد ذلك الى المدينة المنوّرة ..

وهكذا دمّر الله معسكر الشّرك والجاهلية ، وطهّر مكّة من الظلم والفساد والوثنية .

و بسقوط قوّة الشّرك في مكّة ، بدأت مرحلة جديدة من النّصر ، وانتشار الدعوة الاسلامية .

الخلاصة

مكّة ، هي البلد المقدّس في الجاهلية والاسلام ، وفيها الكعبة الشريفة ، وقد هبط الوحي فيها على الرسول الكريم محمد (ص) ، وظلّ يدعو الناس هناك ثلاثة عشر عاماً ، سرّاً وعلانية ، و بالحكمة والموعظة الحسنة ، إلّا أنّ طواغيت مكّة ، والمتسلّطين فيها من أصحاب

---

(١) وقع قتال في أحد مداخل مكّة بين خالد بن الوليد ، و بين بعض المشركين ، فقتل ثلاثة من المسلمين ، وثلاثة عشر رجلاً من المشركين .

(٢) ابن الاثير في تاريخه : (٢/٢٤٦) .

المال والنفوذ والاستكبار، قاوموا تلك الدعوة، وآذوا النبيّ وأصحابه، وحين قرّروا قتله، خرج الى المدينة .. وفي المدينة أذن الله له بالقتال، فانتصر في عدّة معارك على اليهود ومشركي مكّة ..

وفي أواخر العام السادس من الهجرة وقّع معهم معاهدة صلح الحديبية .. فنقضوا المعاهدة، وأعانوا قبيلة كنانة على قبيلة خزاعة حليفة الرسول (ص) .. فطلبت خزاعة المساعدة من الرسول (ص) .. فجهّز الرّسول (ص) جيشاً من عشرة آلاف مقاتل، وتوجّه نحو مكّة لفتحها .. وذلك في السنة الثامنة من الهجرة، فخضع له أهلها من غير قتال، ودخلها منتصراً في شهر رمضان، فعفى عنهم، رغم الأذى، والاضطهاد، والعدوان، الذي صدر منهم ضدّه وضدّ أصحابه .. وبتدمير قوّة المشركين في مكّة، انتشر الاسلام في الجزيرة العربية، وتعزّزت قوّة المسلمين ..

إنّ في فتح مكّة لدرساً عظيماً للمسلمين في كلّ زمان .. فهذا الفتح يوضّح لنا كيف أنّ الصبر والدّفاع عن الحق والعقيدة مكّن المستضعفين، الذين أخرجوا من ديارهم قِلّة خائفين، استطاعوا أن يكوّنوا لهم قوّة عظيمة، و يعودوا فاتحين منتصرين .

المناقشة

١ ــ عن أي شيء يعبّر قول الرسول (ص) لأهل مكّة الذين آذووه وأخرجوه من دياره : **« اذهبوا فأنتم الطّلقاء »** .. ؟

٢ ــ ما هو السبب الذي دعا الرسول (ص) الى أن يتّجه بجيشه لفتح مكّة .. ؟

٣ ــ ماذا تعلّمنا حادثة فتح مكّة .. إذ خرج المسلمون منها قلّة خائفين، ثم عادوا اليها أقوياء فاتحين .. ؟

معركة حُنَين

لقد مرّ علينا أنّ رسول الله (ص) قد فتح مكّة في السنة الثامنة من الهجرة ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك .. و بقي فيها عدّة أيّام ، ثم علم أثناء بقائه في مكّة أنّ قبيلتي هوازن وثقيف ، المقيمتين في قرية الطائف القريبة من مكّة قد اتّفقتا على محاربته .. وقالوا : نغزوه قبل أن يغزونا ، كما غزا أهل مكّة ..

فجمع رسول الله (ص) جيشه الذي فتح به مكّة ، وكان عدده عشرة آلاف مقاتل ، وانضمّ اليهم ألفا مقاتل من أهل مكّة الذين أسلموا قبل عدّة أيّام بعد فتح مكّة ، وتوجّه في شهر شوّال من السنة الثامنة من الهجرة ـــ أي بعد خمسة عشر يوماً من فتح مكّة ـــ ليقضي على قوّة الشّرك والضّلال التي أعدّتها ثقيف وهوازن ..

و بعد أن علمت قبيلتا هوازن وثقيف بزحف المسلمين نحوهم ، خرجوا لملاقاتهم في وادي (حنين) ، القريب من الطائف ، وكمنوا لهم هناك ..

وحين رأى المسلمون كثرة عددهم ، قالوا : لن نغلب لكثرتنا ، فتأذّى رسول الله (ص) من قولهم هذا ، لأنّه أحسّ بالغرور يملأ نفوسهم ، وخاف عليهم من الهزيمة ..

وحين وقعت المعركة ، فاجأ المشركون جيش المسلمون في وادي حنين ، الذي كانوا قد كمنوا فيه للمسلمين .. فانهزم المسلمون وفرّوا في الصّحراء .. فثبت رسول الله (ص) ومعه قلّة مؤمنة قيل أنّ عددهم لا يزيد على عشرة أشخاص .. كعمّه العبّاس وعلي بن أبي طالب وأمثالهم ، وأمر رسول الله العبّاس أن ينادي في المسلمين ، و يدعوهم الى الصّبر والثّبات ، و يطلب منهم الوفاء بالبيعة لرسول الله (ص) ، والدّفاع عنه ، وعن دينهم ..

وأنزل الله ملائكته على نبيّه وعلى الّذين ثبتوا معه ، فنادى رسول الله المسلمين بأعلى صوته ، يدعوهم للصّبر والثّبات ، فعاد عدد كبير منهم ، وتقدّم الامام علي (ع) الى حامل راية هوازن فقتله ، فانكسر المشركون ، وتمزّق جيشهم ، وحقّق الله النّصر لنبيه ، ورجع الكثير من المسلمين الّذين فرّوا ، والتحقوا به ، بعد انهزام المشركين ، وغنموا غنائم كثيرة جدّاً ..

فأنزل الله سبحانه آية يمدح بها المؤمنين ، الّذين ثبتوا مع رسول الله (ص) ، و يعاتب

الّذين سيطر عليهم الغرور بقوّتهم في بداية الأمر، ثم انهزموا عندما اشتدّت الحرب والقتال .. فقال تعالى :

«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ ولّيتم مدبرين * ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها ... »

(التوبة/٢٥ ــ ٢٦)

ثمّ توجّه رسول الله(ص) الى الطائف، ووجّه الامام عليّاً(ع) إليها، فالتقى بأحد زعماء ثقيف، وهو يقود عدداً من المقاتلين، فقتله، وانهزم أصحابه .. وحاصر رسول الله(ص) الطائف قرية هؤلاء المشركين التي عادوا اليها بعد انهزامهم في وادي حنين، وفتحها بعد أيّام ..

وهكذا انهزمت آخر قوّة من قبائل العرب الشديدة المقاومة للاسلام وللدعوة الاسلامية، فكانت لرسول الله(ص) القوة والسيطرة في الجزيرة العربية بعد ذلك(١) .

الخلاصة

بعد أن فتح الرسول(ص) مكّة، خافت قبيلتا هوازن وثقيف المشركتان المقيمتان في قرية الطائف، قرب مكّة من قوّة المسلمين، وقرّروا مهاجمة المسلمين قبل أن يهاجموهم .. فعندئذ قام الرسول(ص) بغزوهم، وكان عدد جيشه اثني عشر ألف مقاتل، فتوجّه اليهم في شوّال بعد خمسة عشر يوماً من فتح مكّة ..

وقد أصاب المسلمين الغرور لكثرة جيشهم، وقالوا لن نغلب؛ بسبب كثرتنا، وقد تأذى الرسول(ص) من شعورهم بالغرور.. وحين وصلوا وادي حُنين فاجأهم المشركون بالهجوم عليهم، ففرّ المسلمون وتشتّتوا، ولم يثبت منهم إلاّ قليل.. فاستطاعوا أن يحقّقوا النصر،

---

(١) اليعقوبي في تاريخه : (٦٢/٢) وفي تاريخ ابن الاثير: (٢٦١/٢) وسيرة ابن هشام :(٨٠/٤) وفي اعلام الورى للطبرسي / ص (١١٩).

وعاد الباقون ، للالتحاق بهم ، ثم غنموا الغنائم الكثيرة ..

وبالقضاء على هؤلاء المشركين ، قُضي على أقوى حصون الشّرك والعداوة للاسلام في الجزيرة العربية .

المناقشة

١ ــ لماذا انتصر المسلمون في معركة بدر وهم قلّة .. وانهزموا يوم حنين في بداية المعركة وهم كثيرون .. ؟ وضّح ذلك باختصار .

٢ ــ

أ) في أي عام فتح الرسول (ص) الطائف .. ؟

ب) لقد عاتب الله المسلمين على غرورهم وهزيمتهم يوم حنين .. اقرأ الآية الكريمة التي نزلت بهذه المناسبة .

ج) ما اسم القبيلتين اللّتين قاتلهما الرسول (ص) يوم حنين .. ؟ ولماذا سمّيت معركة حنين بهذا الاسم .. ؟

غزوة تبوك

تقع الدولة الاسلامية التي أسسها رسول الله (ص) في الجزيرة العربية ، في بداية هجرته الى المدينة المنورة ، بين دولتين كبيرتين قويتين ، هما دولة الفرس في الشرق ، في بلاد فارس ، ودولة الروم في الغرب ، في بلاد الشام .. وعندما قويت الدولة الاسلامية ، وانتشرت دعوة الاسلام ، وفتح المسلمون مكة ، وقضوا على قوة اليهود العدوانية ، خاف ملك الروم (هرقل) على دولته ، وسلطته القائمة على الظلم والفساد ، فأراد أن يهاجم المسلمين في ديارهم ، و يقضي على الاسلام ، فعلم رسول الله (ص) بذلك ، فقرّر أن يهاجم الروم في بلادهم ، قبل أن يهاجموا المسلمين .. فأخبر أصحابه بوجوب غزو الروم وتهيئة المال والسلاح والمقاتلين ، والاستعداد للحرب والقتال ، ضدّ هؤلاء الأعداء .

وكان الوقت صيفاً ، شديد الحرارة ، والطريق صحراو ياً بعيداً جداً ، والعدو أكثر عدداً وقوّةً من المسلمين ، وكان المسلمون قد أصابهم في ذلك العام قحط وفقر شديد .. فجمع رسول الله (ص) أصحابه ، وكوّن منهم جيشاً سمّي بـ «جيش العسرة (*)» ودعا الأغنياء الى التبرّع بالمال والسلاح والخيول والابل وغيرها ؛ لتجهيز المقاتلين ، وتقوية الجيش ، فتبرّعوا وأنفقوا في سبيل الله .. واعتذر ضعاف الايمان من الاشتراك في هذا الجيش ، فنزلت آيات قرآنية تذمّهم ، وتمدح المخلصين الذين استجابوا لرسول الله (ص) ، وساروا معه للجهاد ، وأنفقوا من أموالهم ..

توجّه رسول الله (ص) لمحاربة الرّوم :

وترك رسول الله (ص) الامام علياً (ع) نائباً عنه على المدينة لحمايتها وحفظها .. فقال المنافقون : لقد كره رسول الله (ص) خروج علي بن أبي طالب (ع) معه من المدينة ، فتأذّى الامام علي (ع) من هذا القول ، وحمل سلاحه ، ولحق برسول الله (ص) ، وشكا اليه ما قاله المنافقون ، فقال له رسول الله (ص) : « **كذبوا إنّما خلّفتك لما ورائي ، فارجع فاخلفني**

(*) العسرة : سمّي جيش العسرة لانّ الناس عسر عليهم الخروج في حرارة القيض وابّان ايناع الثمرة .

في أهلي وأهلك ، أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ، إلّا أنّه لا نبي بعدي » (١) ، فرجع الامام علي (ع) ، وهو مسرور ، وسار رسول الله (ص) يقود المسلمين لحرب الرّوم .. وكان مسيره هذا في السنة التاسعة من الهجرة ، بعد قدومه من غزوة حنين .

من معاجز الرسول (ص) :

وكما عرفنا فانّ الطريق الذي سار فيه جيش المسلمين بقيادة رسول الله (ص) كان طريقاً صحراوياً ، وكان الوقت صيفاً شديد الحرارة ، وعندما وصلوا الى مكان يسمّى (الحجر) لم يكن معهم ماء ، فشكوا العطش الى رسول الله (ص) ، فدعا الرسول (ص) فأرسل الله عليهم سحابة فمطرت ، فتوفّر لهم الماء ، وشربوا جميعاً ، ثم تركوا المكان ، وساروا متوجّهين الى بلاد الرّوم (٢) ..

فوصل رسول الله (ص) وأصحابه الى وادي تبوك ، ونزل هو وجيشه هناك ، فصالحه عدد

---

(١) ابن الاثير / الكامل في التاريخ : (٢/٢٧٧) والسيرة النبوية لابن هشام : (٤/١٥٩) .

وروى البخاري كالآتي : « قال النبي (ص) لعلي : أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى » . صحيح البخاري / ج (٥) / ص (٢٤) .

(٢) وفي الطريق وقف بعير أبي ذر الغفاري صاحب رسول الله (ص) ، فقال الناس : يا رسول الله (ص) لقد تخلّف أبوذر الغفاري ، فقال لهم : إن يَكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم ..وحين رأى أبوذر بعيره واقفاً لا يسير، تركه وجاء ماشياً ، ولحق برسول الله (ص) فرآه المسلمون من بعيد ، ولم يعرفوه في بداية الأمر، وقالوا يا رسول الله : هذا رجل يسير وحده ..

فقال رسول الله (ص) : « كن أبا ذر » .. فلمّا نظروا إليه جيداً ، قالوا هو أبوذر، فقال رسول الله (ص) : « يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده ، ويموت وحده ، و يبعث وحده ، و يشهده عصابة من المؤمنين » .. وصدق رسول الله (ص) فقد حدث لأبي ذر ما وعده به ، فانّ عثمان بن عفان الخليفة الثالث قام بنفي أبي ذر الى خارج المدينة الى منطقة تسمّى (الربذة) سنة ، وتوفي هناك وحده ، ولم يكن أحد من الناس معه غير زوجته وغلامه . وقبل وفاته أوصاهما أن يغسلاه ، و يكفناه ، و يضعاه على الطريق ، عملاً بوعد رسول الله (ص) ، وطلب منهما أن ينظرا الى الطريق فيطلبان من أول جماعة من الناس يرونهم قادمين أن يساعدوهما على دفنه .. و بعد أن توفي رضوان الله عليه غسلاه وكفّناه ووضعاه على الطريق كما أمرهما .. و بعد أن وضعاه رأياً جماعة قادمين نحوهم ، ومعهم أحد صحابة رسول الله (ص) وهو عبد الله بن مسعود ، فأخبرته زوجة أبي ذر بالخبر فبكى ، وتذكّر قول رسول الله (ص) لأبي ذر، وقال : « صدق رسول الله (ص) تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك » ، ثم قام بدفنه .

وما زال قبره الشريف يزار في ذلك المكان حتى الآن .

من زعماء النصارى ، وبقي ثلاثة عشر يوماً في وادي تبوك ، ولم يقدم عليه الرّوم ولا العرب المنتصرين ، فترك تبوك وعاد الى المدينة ..

إنّ هذه الغزوة وقعت في شهر رجب في السنة التاسعة من الهجرة .. وهكذا حقّق المسلمون النّصر على الرّوم ، بعد أن خسروا المعركة في حربهم للرّوم في غزوة مؤتة ، قبل سنة تقريباً .

الخلاصة

بعد أن قوي المسلمون ، وانتصر الاسلام في الجزيرة العربية ، خاف (هرقل) ملك الرّوم على سلطته ودولته القائمة على أساس الكفر والظلم ، وأراد أن يهاجم الدولة الاسلامية .. وعندما علم رسول الله (ص) بخطة الرّوم ، قرّر أن يهاجمهم قبل أن يهاجموه .. وكان ذلك العام عام قحط وفقر شديد .. ومع ذلك فقد جمع الرسول (ص) أصحابه ، ودعا الأغنياء أن يتبرّعوا للجّهاد بالأموال والسلاح والابل وأمثال ذلك .. وسار الى بلاد الروم في السنة التاسعة من الهجرة ، أي قبيل وفاته (ص) بتسعة أشهر تقريباً ، وترك الامام علياً (ع) على المدينة والياً ، وسمّيت تلك الغزوة بغزوة (العُسرة) ، وعندما وصل المسلمون الى وادي تبوك .. لم يقدم جيش الرّوم على قتالهم ، لكن جاءهم عدد من زعماء النّصارى ، فصالحهم رسول الله (ص) ، وعاد منتصراً الى المدينة .

المناقشة

١ ـ

أ) لماذا سمّيت غزوة تبوك بغزوة العسرة .. ؟

ب) ما معنى قول الرسول (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) : « **أنت منّي بمنزلة هارون**

من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي » .. اشرحه بايجاز.

٢ ــ حدثت معجزة للرسول (ص) وهو سائر في طريقه الى تبوك .. اذكر هذه المعجزة النّبويّة.

٣ ــ

أ) أين كانت تقع دولة الرّوم .. ؟

ب) ما هي نتائج هذه الغزوة .. ؟ أُذكرها بايجاز..

حادثة المباهلة (١)

وبعد أن حقق الله لنبيّه النصر على قريش وفتح مكّة .. ثمّ نصره في معركة حنين على أهل الطائف، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .. أخذت وفود العرب تفد على رسول الله (ص)، وتعلن اسلامها ..

ثمّ أنّ رسول الله (ص) وجّه الكتب والرسائل الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الدخول في الاسلام .. وكان ممّن كتب اليهم كتاباً يدعوهم فيه الى الاسلام، هم أهل نجران، في اليمن، وكانوا يدينون بدين النصارى، فأرسلوا اليه (ص) وفداً من رؤسائهم؛ ليحاورونه، ويدافعوا عن عقيدتهم المحرّفة في المسيح (ع)، فقد كانوا يعتقدون أنّ المسيح هو ابن الله، وحين قدموا المدينة، واجتمعوا بالنبي (ص)، وأخذوا يجادلونه، ويدافعون عن شركهم ودياناتهم المحرّفة، أنزل الله على نبيّه آيات عديدة تردّ على مزاعمهم، وتدعوهم الى المباهلة ..

وآية المباهلة هي :

« فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين »

(آل عمران/ ٦١)

وبعد نزول هذه الآية، التي أمر الله بها الرسول (ص)، أن يخرج هو وابنته فاطمة، وزوجها، ابن عمّه علي بن أبي طالب، وولداهما، الحسن، والحسين؛ ليباهلوا أعداء الله، قال الرسول (ص) لرؤساء النصارى : إن لم تؤمنوا بي وتصدّقوني، فتعالوا نبتهل، فنجعل لعنة الله على الكاذب .. وننتظر من سيقع عليه العذاب والعقاب الالهي، فهو على باطل .. فقالوا للنبي (ص) : نباهلك غداً .. ثمّ تحاوروا فيما بينهم، فقال لهم أحد رؤسائهم : **« إن باهلكم محمد (ص) غداً بوُلده وأهل بيته، فاحذروا مُباهلته، وإن باهلكم بأصحابه وأتباعه فباهلوه »** .. فلمّا أصبح اليوم الثاني، أخذ رسول الله (ص) بيد الحسن والحسين، وخلفه ابنته فاطمة، وأمامه علي بن أبي طالب، وخرج الى الوادي لمباهلتهم.

---

(١) المباهلة : هي أن يدعو الطرفان المتخاصمان أحدهما على الآخر بنزول العذاب على المبطل.

وعندما رأوهم كذلك، قال أحد رؤسائهم وهو أبو حارثة: «**من هؤلاء معه؟ قالوا: هذا ابن عمّه، زوج ابنته، وهذان ابنا ابنته، وهذه بنته، أعزّ الناس عليه، وأقربهم الى قلبه، وتقدّم رسول الله فجثا على ركبتيه فقال أبو حارثة: جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة**».. فتراجع عن المباهلة، وقال لأصحابه: «**إنّي لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة، وأخاف أن يكون صادقاً، فلا يحول والله علينا الحول، وفي الدنيا نصراني يطعم الماء**».

فاعتذروا من المباهلة، وطلبوا الصّلح مع الرسول (ص)، فصالحهم، وتعهدوا مقابل ذلك أن يدفعوا للمسلمين سنوياً مقداراً معيّناً من المال والثياب.

إنّ الرسول (ص) صالحهم ليهيء الظروف لنشر الاسلام، ويمنعهم عن مقاومة الدعوة الاسلامية.. وفي هذه الحادثة أوضح رسول الله (ص) للكافرين صدق نبوّته، وتأييده باجابة الدّعاء.. كما أكّد لأمّته كرامة أهل بيته (ع) على الله، وقبول دعائهم عنده، واستجابته لهم (١).

الرسول (ص) يبعث علي بن أبي طالب الى اليمن:

ثم بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) الى اليمن؛ لينشر الدعوة الاسلامية هناك، و يعلّمهم الاسلام.. وحين دخل علي بن أبي طالب (ع) بلاد اليمن، وهو يحمل رسالة رسول الله (ص) الى أهلها، وقرأ الرسالة عليهم، فلمّا سمعوا الرسالة، أسلمت قبيلة همدان كلّها.. فكتب علي (ع) الى رسول الله (ص)، يخبره بدخول قبيلة همدان في الاسلام.. وعندما وصل الكتاب الى رسول الله (ص) تناوله وقرأه، فسجد شكراً لله سبحانه.. وكان رسول الله (ص) قد أرسل خالد بن الوليد، قبل ذلك اليهم، يدعوهم الى الاسلام، فلم يستجيبوا له (٢).

---

(١) الطبرسي في اعلام الورى / ص (١٣٦)، وابن الصباغ في الفصول المهمّة / ص (٢٣).
(٢) الطبرسي في اعلام الورى / ص (١٣٧)، وابن الاثير في تاريخه / ج (٢) / (٣٠٠).

الخلاصة

بعد أن حقّق الله النصر للمسلمين على أعدائهم ، وفتحوا مكّة والطائف ، بدأت قبائل العرب ، ترسل وفودها الى الرسول (ص) ، لتعلن اسلامها .. كما أنّ الرسول (ص) أخذ يكاتب الملوك والرؤساء ، و يدعوهم الى الاسلام ..

وكان ممّن وفد عليه هم نصارى نجران من اليمن ، وطلبوا منه (ص) أن يحاورهم ، وهم يعتقدون أنّ المسيح هو ابن الله .. فأمر الله نبيّه أن يباهلهم ، فحدّدوا اليوم الثاني موعداً للمباهلة ، فخرج ، رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) (عليه وفاطمة والحسن والحسين) للمباهلة ، وحين رأى علماء النصارى وزعماؤهم النّبي (ص) وأهل بيته ، خافوا من المباهلة ، ووقوع العذاب بهم ، فاعتذروا عن المباهلة ، وصالحوا الرسول (ص) ..

أنّ هذه الحادثة توضّح لنا مكانة وحرمة أهل البيت (ع) على الله سبحانه ؛ لأنّ الله أمر نبيّه أن يباهل بهم أعداءه ، وضمن استجابة دعائهم .

المناقشة

١ ــ قال الله تعالى لنبيّه (ص) : « **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين** » .. من هم أُولئك الأشخاص المعنيين بهذه الآية ، الذين أُمر الرسول (ص) أن يُباهل بهم الناصرى .. ؟ أُذكر أسماءهم ..

٢ ــ هل باهل النصارى رسول الله (ص) وأهل بيته ، ولماذا .. ؟

٣ ــ

أ) هل تدل حادثة المباهلة ــ لغير المسلمين ــ على صدق نبوّة الرسول (ص) .. ؟ ولماذا .. ؟

ب) بعد المباهلة ، أرسل رسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) الى اليمن ، ليدعو أهلها الى الاسلام .. فهل نجح الامام علي (ع) في مهمّته .. ؟ وضّح ذلك ..

حجّة الوداع

في السنة العاشرة من الهجرة عزم رسول الله (ص) على أداء فريضة الحج المقدّسة وأخبر أصحابه بذلك ، ودعاهم للحج معه .. فتجهّز النّاس للحج ، واجتمع عشرات الآلاف من أصحابه معه ، فخرجوا جميعاً من المدينة المنوّرة في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة من تلك السنة ؛ لأداء فريضة الحج ، وساق معه الهدي (١) ، فلمّا ساروا ، و وصلوا الى منطقة تسمى (ذات الحليفة) على بعد سبعة كيلومترات تقريباً من المدينة المنوّرة ، أحرم رسول الله (ص) ، وأحرم النّاس معه ، ثمّ توجّه نحو مكة المكرّمة (٢) .. وكان علي بن أبي طالب (ع) قد خرج من اليمن ، وخرج معه مَنْ صحبه مِن العسكر متوجهين الى مكة ؛ لأداء فريضة الحج أيضاً ، فقد كان علي (ع) مقيماً في اليمن وقد بعثه رسول الله (ص) اليها ليدعو أهلها الى الاسلام ، و يعلّمهم أحكامه ، ويقضي بينهم ، و يكون ممثّلاً لرسول الله (ص) ـــ كما عُرفت في الدرس السابق ـــ .

وعندما قارب رسول الله (ص) ومن معه مكّة ، كان علي بن أبي طالب (ع) قد قارب مكّة أيضاً ، فالتقى برسول الله (ص) وتقدّم الجيش اليه فسرّ بذلك (٣) . ثمّ أمرهم أن يستمرّوا في سيرهم الى مكّة ، و يلتقوا هناك ..

وعندما عاد علي (ع) من لقائه برسول الله (ص) الى جيشه ، وجدهم قد لبسوا الحلل (٤) التي جلبها معه ؛ ليسلّمها الى رسول الله (ص) فيوزّعها على المسلمين بالتساوي ، فتأذّى علي (ع) من ذلك ، وسأل الشخص الذي جعله نائباً عنه على الجيش عن لبس هؤلاء الرجال لتلك الملابس ، بغير اذن رسول الله (ص) ، فأجابه ذلك الشخص بأنّهم استعاروا منه هذه

---

(١) الهدي : الذبائح التي تذبح في يوم النحر في الحج .

(٢) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (١٠٩) .

(٥) الاهلال : رفع الصوت بالتلبية .

(٣) تاريخ ابن الأثير: ج (٢) / ص (٣٠٢)، وتاريخ اليعقوبي : ج (٢) / ص (١٠٩) ، واعلام الورى / ص (١٣٧) .

(٤) الحلل : أزار أو رداء برداً وغيره ، ولا يكون حلّة الاّ من ثوبين أو ثوب له بطانة .

الملابس للاحرام فيها ، وللتزيّن بها ، فقال له علي(ع) : **« بئس ما فعلت ، وبئس ما فعلوا ، فانتزعها من القوم ، وشدّها في الأعدال »** .

وعندما سمع هؤلاء الناس بأوامر علي(ع) بنزع تلك الملابس ، واعادتها الى أماكنها ؛ لأنّها تعود الى بيت مال المسلمين جميعاً ، تأذّوا ، وأخذوا يشكون علي(ع) فيمّا بينهم .. وعندما علم رسول الله(ص) بكلامهم ، تألّم منه ، وأمر شخصاً أن ينادي في الناس : **« ارفعوا ألسنتكم من شكاية علي ، فانّه خشن في ذات الله(١) »**(٢) .

ثمّ أنّ رسول الله(ص) قد دخل مكّة نهاراً من منطقة تسمّى (كُداء) على راحلته .. وتوجّه نحو الكعبة (البيت الحرام) .. فلمّا رأى البيت الحرام ، رفع يديه فوق زمام ناقته ، و بدأ بالطواف حول البيت قبل الظهر ، وهو على ناقته .

الرّسول(ص) يخطب الناس :

وفي هذه الحجّة خطب رسول الله(ص) الناس عدّة مرّات ليوضّح للمسلمين أموراً وأحكاماً عديدة .. فقد خطبهم يوم السابع من ذي الحجة ، وخطبهم يوم عرفة (يوم التاسع) أيضاً ، وخطب الناس أيضاً في منى فقال في خطبته هذه : **« نَضَّر اللّهُ وجَهَ عَبدٍ سَمِعَ مَقالَتي فَوَعاها(*) ، وحَفِظها ، ثُمّ بَلَّغها مَنْ لم يَسْمعَها ، فَرُبَّ حامِل فِقهٍ غيرِ فَقيه ، ورُبَّ حامِل فِقهٍ الى مَنْ هو أفقهُ مِنه ، ثَلاثٌ لا يَغُل عَليهن قَلبُ امرىءٍ مُسلم : إخلاصُ العملِ للّهِ ، والنَّصيحةُ لأئمّةِ الحقّ ، واللّزومُ لِجماعةِ المؤمنين ، فإنّ دَعوتَهم مُحيطةٌ من وَرائهم »**(٣) .

ثمّ نحر الذبائح في منى ، وكان عددها نيفاً وستين بدنة ، وأمر الامام علياً(ع) أن يذبح المتبقي منها . وأخذ من كلّ ناقة قطعة من اللّحم فطبخت بالماء والملح ، فأكل منها ، هو وعلي ، وشرب من مرقها .. ورمى جمرة العقبة ، وهو على ناقته(٤) .

---

(١) خشن في ذات الله : لا يتنازل عن شيء من الحق .

(٢) السّيرة النّبويّة لابن هشام : ج (٤) / ص (٢٩) ، واعلام الورى / ص (١٣٧) .

(*) وعاها : فهمها وحفظها .

(٣) تاريخ اليعقوبي /ج (٢) / ص (١٠٩) .

(٤) المصدر السابق .

ثمّ عاد الى مكّة ، ووقف عند بئر زمزم ، فخطب الناس خطبة عظيمة سمّيت خطبة الوداع .. فيها أهم مبادىء الاسلام وقيمه ، ووعظهم ، ونعى نفسه إليهم ، فقال لهم : **« لعلّكم لا تلقوني على مثل حالي هذه ... »** .

ثمّ خرج من مكّة عائداً الى المدينة المنوّرة .. وفي الطريق في مكان يسمّى غدير خم ، أمر الحجّاج ، وكانوا عشرات الآلاف ، أن ينزلوا في ذلك المكان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وكان الوقت صيفاً ، شديد الحرارة ، وجمعت الرحل ، فصنع لرسول الله (ص) منها منبراً ، تحت شجرة ، فصعد رسول الله (ص) عليها ، ووضع علي بن أبي طالب بجنبه ، وأخذ بيده ، ورفعها والناس ينظرون اليه ماذا يصنع ، ثم خطب خطبة عظيمة ، قال فيها : **« ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه .**

ثمّ قال : **أيّها الناس إنّي فرطكم** (*) ، وأنتم واردي عليّ الحوض ، وإنّي سائلكم حين تردون عليّ ، عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، وقالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله ، وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ، ولا تضلّوا ، ولا تبدّلوا ، وعترتي أهل بيتي » (١) .

(*) فرطكم : سابقكم .

(١) ابن الصباغ في الفصول المهمة / ص (٤١) ، واعلام الديلمي / ص (١٣٩) . راجع كتاب الغدير للعلامة الاميني .

وهكذا وضّح للمسلمين مقام الامام علي(ع) وولايته على المؤمنين، كما وضّح مكانة أهل البيت(ع) ووجوب التمسّك بهم؛ لئلا تتفرّق الأمّة، أو تبتعد عن الفهم الصحيح للقرآن، ثمّ واصل رسول الله(ص) سيره الى المدينة المنوّرة حتى وصلها، وسمّيت تلك الحجّة بحجّة الوداع؛ لأنّها الحجّة التي ودّع رسول الله(ص) فيها أمّته، ثمّ توفّي بعد وصوله المدينة بشهرين تقريباً.

الخلاصة

في السنة العاشرة من الهجرة أدّى رسول الله(ص) فريضة، وهي الحجّة الوحيدة التي حجّها وهو في المدينة.. وقد رافقه في هذه الحجّة عشرات الآلاف من أصحابه.. وأحرم من مسجد الشجرة، خارج المدينة (من منطقة الحُليفة)، ثمّ وصل بعد عدّة أيّام الى مكّة، خلال النهار، ودخلها من منطقة تسمّى (كداء)، ثمّ طاف حول البيت قبل ظهر ذلك اليوم، وهو راكب على ناقته..

وفي هذه الحجّة خطب الرسول(ص) عدّة مرّات في أصحابه، وأوصاهم وصايا عديدة، منها التمسّك بكتاب الله وأهل بيته(ع).. وسمّيت هذه الحجّة بحجّة الوداع؛ لأنّها الحجّة الأخيرة التي ودّع فيها رسول الله(ص) أصحابه، وتوفّي بعدها بأقلّ من ثلاثة أشهر.

المناقشة

١ ــ في أيّ عام حجّ رسول الله(ص).. ؟ ولماذا سمّيت هذه الحجّة بحجّة الوداع.. ؟

٢ ــ

أ) قال رسول الله(ص) للأشخاص الذين انتقدوا الامام عليّاً حين أعاد الملابس الى

بيت المال .. قال لهم (ص) : **« أرفعوا ألسنتكم من شكاية علي ، فانّه خشن في ذات الله »** .. ما هو المقصود من هذا القول ؟ اشرحه باختصار ..

ب) كيف طاف رسول الله (ص) حول الكعبة الشريفة .. ؟

٣ ــ ما معنى قول رسول الله (ص) : **« فمن كنت مولاه ، فعليّ مولاه ، اللّهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه »** .

٤ ــ لقد ألقى رسول الله (ص) عدّة خطب في الحجّ ، لتعليم المسلمين وتثقيفهم .. فهل يعني ذلك أنّ موسم الحجّ ينبغي أن يكون مؤتمراً اسلامياً لتوعية المسلمين ، وارشادهم ، وللتشاور بينهم .. أو لا .. ؟

زوجات النبي (ص) (١)

كانت المرأة قبل الاسلام، لا يعترف أحد لها بحقوق، ولا تحظى بالكرامة والاحترام، بل كان العرب يحتقرون المرأة ــ كما كان غيرهم من الأمم ــ و يعتبرونها من جملة الأشياء التي يمتلكها الرجل، وكانت تورث في الميراث، كما تورث الاثاث والحيوانات والبيوت والأراضي.. بل وكان البعض يقتل البنات و يدفنهنّ وهنّ أحياء..

وعندما جاء الاسلام، أعطى المرأة حقّها، وجعل الفضل بين النّاس للايمان والتقوى: **«انّ أكرمكم عند الله أتقاكم»**..

وأمر القرآن الرجال أن يعاشروا النساء بالمعروف، وأن تكون بينهم المودّة والحبّ والاحترام.. قال الله تعالى: **«وعاشروهنّ بالمعروف»**..

وقال تعالى: **«ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة»**..

ولقد كان رسول الله (ص) يوصي بالنساء و يقول: **«خيّركم، خيّركم لأهله، وأنا خيّركم لأهلي»**..

وفي حجّة الوداع، حين خطب الناس، أوصى بالمرأة، قائلاً: **«أيّها النّاس استوصوا بالنّساء خيراً»** (٢)..

ولقد كان رسول الله (ص) المثل الأعلى في التعامل الحسن مع زوجاته، والاحسان اليهنّ.. وقد تزوّج رسول الله (ص)، إحدى عشرة زوجة، عشن معه مُدداً مختلفة، وعقد على اثنتين وطلّقهنّ، ولم يعشن معه، وأسماء زوجاته هي:

١ ــ خديجة بنت خويلد، وهي أولى زوجاته، وأعظمهنّ، وأحبّهنّ الى نفسه، وتوفّيت قبل رسول الله (ص) في مكّة، تزوّجها قبل أن يبعث نبيّاً، وهي أمّ أبنائه جميعاً ــ عدا ابراهيم ــ فانّ أمّه ماريّة القبطيّة.

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (٤) / ص (٢٩٣).

(٢) ابن الأثير / الكامل في التأريخ / ج (٢) / حجّة الوداع.

٢ ــ عائشة بنت أبي بكر، عقد عليها في مكّة، وتزوّجها بعد هجرته في المدينة.

٣ ــ سودة بنت زمعة بن قيس.

٤ ــ زينب بنت جحش.

٥ ــ أمّ سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية المخزومية.

٦ ــ حفصة بنت عمر بن الخطّاب.

٧ ــ أمّ حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان.

٨ ــ جويرية بنت الحارث الخزاعية.

٩ ــ صفيّة بنت حيي بن أخطب الخيبرية.

١٠ ــ ميمونة بنت الحارث.

١١ ــ زينب بنت خزيمة، وتدعى أمّ المساكين؛ لرحمتها وعطفها على الفقراء والمساكين، وتوفيت قبل رسول الله (ص).

أمّا المرأتان اللّتان عقد عليهما ثم طلّقهما فهما:

١ ــ أسماء بنت النعمان الكنديّة.

٢ ــ عمرة بنت يزيد الكلابية.

ولقد كان لزواج رسول الله (ص) من هذه النّسا أهداف سياسيّة واجتماعية وثقافية، فزواج رسول الله (ص) من هذا العدد من النّساء كوّن له علاقة مع القبائل العربية، وروابط وثيقة.. كما أنّه (ص) كان يعلّم نساءه، وكنّ يعلّمن النّساء.

وفاة الرسول (ص)

قد عرفنا أنّ رسول الله (ص) كان قد أشار في خطبة الوداع الى أصحابه بأنّه قد لا يلقاهم بعد تلك السّنة، وبعد عودة الرسول (ص) من حجّة الوداع بمدّة قصيرة، أخذ يشكو من المرض، واعتلّت صحته (ص)، ولمّا أحسّ بالمرض خرج ليلاً الى بقيع الغرقد، وهي المقبرة التي يدفن فيها المسلمون، وتقع بالقرب من مسجده الشريف؛ ليستغفر لهم.. وحين وقف في البقيع، قال مخاطباً أهل القبور: **«السّلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنيء لكم ما أصبحتم فيه، ممّا أصبح النّاس فيه، قد أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم، يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأُولى»** (١).

وبعد مضي خمسة أيّام خطب الناس على منبره فقال: **«أيّها النّاس، أنّه لا يَدَّعِ مدّع، ولا يتمنّ متمنّ، والّذي بعثني بالحق لا ينجي إلّا العمل مع رحمة الله، ولو عصيت لهويت، اللّهمّ بلّغت ــ ثلاثاً ــ ثم نزل فصلّى، ثمّ دخل بيته»** (٢).

واشتدّ المرض على رسول الله (ص)، وتوفّي في اليوم الثامن والعشرين من صفر في العام الحادي عشر من الهجرة، أو في الثاني عشر من ربيع الأول.. وتولّى علي بن أبي طالب (ع) أمر تغسيله، وكان الفضل بن العبّاس يناوله الماء، وهو يغسله، ثم قام بتحنيطه، وتكفينه، والصّلاة عليه، ثمّ دعا المسلمين أن يصلّوا على رسول الله (ص)، عشرة عشرة، من غير إمام في هذه الصّلاة.. فصلّوا عليه يوم الاثنين، وليلة الثلاثاء حتى الصّباح، ويوم الثلاثاء، حتى صلّى عليه صغيرهم وكبيرهم، وذكورهم وأناثهم، وضواحي المدينة.. ثمّ تولى علي (ع) دفن الرسول (ص) في حجرته، بالاستعانة ببعض الصحابة لانزال جسده الشريف في قبره النيّر في حجرته، التي توفّي فيها، بجوار مسجده المبارك.. ولم يزل قبره الشريف يتبرّك به الزّائرون، ويقصده الحجّاج كلّ عام.

---

(١) ابن هشام / السيرة النبوية / ج (٤) / ص (٢٩٢).

(٢) الطبرسي / إعلام الورى بأعلام الهدى / ص (١٤١).

الخلاصة

انّنا ندرس السيرة النبويّة ، لنستفيد منها فوائد ايمانية وتربوية وأخلاقية ، فنحن نستفيد من دراسة السّيرة النبويّة ما يأتي :

١ ــ التعرّف على عظمة شخصية الرسول (ص) وصفاته الكريمة ، وكيفية تعامله مع مجتمعه ، وأهل بيته ، وأصدقائه ، واعدائه ؛ لنقتدي به ونسير على هداه .

٢ ــ نستفيد من دراسة السّيرة النبوية التعرّف على تأريخ الدّعوة الاسلامية ، وجهاد المسلمين الأوائل ، فنأخذ منها العبر والدّروس .

٣ ــ وتعلّمنا سيرة الرسول (ص) أساليب العمل لتغيير الناس ، واصلاح المجتمع ، وبناء الدولة الاسلامية ، اقتداءاً بدولة رسول الله (ص) العظيمة .

٤ ــ ونستفيد من السّيرة النّبوية الأحكام الاسلامية ، فمنها يستنبط الفقهاء الأحكام والقوانين والأنظمة الاسلامية .

المناقشة

١ ــ لماذا ندرس حياة الرسول الكريم (ص) .

٢ ــ ما هي علاقة السّنة النّبوية بالأحكام الشرعية ؟

٣ ــ هل نستطيع التعرّف على تأريخ الدعوة الاسلامية والمسلمين الأوائل من خلال دراستنا للسنة النبوية ؟ وضّح ذلك .

٤ ــ هل نحصل على صورة واضحة للمجتمع الاسلامي ، وكيفية بنائه ، من خلال التعرّف على السّيرة النبوية ؟

٥ ــ إذا أردنا ايصال الدّعوة الاسلامية الى مختلف الاقطار ، فهل نستطيع التعرّف على طرق ايصالها من خلال دراسة السّيرة النبوية ؟ إضرب مثلاً لذلك .

خطبة الرّسول في غديرخم(١)

وفي اليـوم الذي أتمّ الرسول (ص) فيه حجّه ، وودّع البيت الحرام ، خرج ليلاً من مكّة عـائـداً الى المدينـة ، ومعه عشرات الآلاف من المسلمين .. وعندما وصل الى مكان يسمّى (غـدير خم) في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة .. جمع المسلمين ، وقام فيهم خطيباً ، وأخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : « **ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قـال : فمن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، ثم قـال : أيّها النّاس انّي فرطكم**(٢) **على الحوض ، وانّي سائلكم حين تردون عليّ ، عن الثّـقـلين ، فـانـظـروا كـيف تخلفوني فيهما ، وقالوا : وما الثّقلين يا رسول الله ؟ قال : الثّـقـل الأكبر، كتاب الله ، سبب طرفه بيد الله ، وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ، ولا تضلوا ، ولا تبدّلوا ، وعترتي أهل بيتي** »(٣) .

---

(١) غدير خم : مكان في الطريق بين مكّة والمدينة فيه (ماء) يبعد عن مكّة ...

(٢) فرطكم : سابقكم مفارقكم .

(٣) اليعقوبي / تأريخ اليعقوبي / ج (٢) / ص (١١٢) / ط دار صادر بيروت ، وروى الترمذي في صحيحه / ج (٢) / ص (٢٩٨) قول الرّسول(ص) : (من كنت مولاه فعليّ مولاه) ، وذكر ابن ماجه في صحيحه في باب فضائل أصحاب رسول الله(ص) / ص (١٢) مـا نـقله اليعقوبي من قول الرّسول في غدير خم في علي ، وروى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده وأضاف (انّ عمر بن الخطاب(رض) لقي علياً بعد ذلك فقال له : هنيئاً لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة) / ج (٤) / ص (٢٨١) .

محتويات الكتاب